إسعاف طالبي رضا الخلاق
ببيان مكارم الأخلاق

الطبعة الأولى
1424هـ - 2003م
رقم الإيداع بدار الكتب
(181 لعام 2003م)
الجمهورية اليمنية – صنعاء

مركز النور
للدراسات والأبحاث
تريم - حضرموت هاتف : 419441 - فاكس 419442
توزيـــــــــــــــــع
دار الفقيـــــــــه
ـــــــــــــــر والتوزيـــــــــــــع
مكتب حضرموت / اليمن –
ت : 416967

إسعاف طالبي رضا الخلاق
ببيان مكارم الأخلاق

مجموعة دروس في الأخلاق
ألقاها

الحبيب العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

إسعاف طالبي رضا الخلاق
ببيان مكارم الأخلاق

مجموعة حلقات تلفزيونية سجلها الحبيب
العلامة عمر بن محمد بن حفيظ للقناة
الفضائية اليمنية في شهر شعبان 1422هـ
وضح من خلالها مفهوم الأخلاق ومنزلتها في
الشريعة , وحاجة المسلم إلى الاتصاف بها
ليكسب رضا مولاه والسعادة في الدنيا
والآخرة

أعدها وخرج أحاديثها
مجموعة من طلاب دار المصطفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد الله الذي يهيء في النفوسِ الرغبةَ في سلوكِ سبيلِ تزكيتها, بِبارقةِ فضلٍ مِن توفيقه يمكِّنُها به من إصلاحِ وتقويم صفاتها, ورتبَ على ذلك الفلاحَ والفوز فقال جل جلاله ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1] وقال ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [2], وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له, وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله, بُعثَ مُتمِّمًا لمكارم الأخلاق, ودا عيًا إلى الإله الخلاَّق, أنزل عليه ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3]

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك المصطفى محمدٍ وآله وأصحابه, ومن سار في سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين, وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحمَ الراحمين. **أما بعد :-** فهذه دروسٌ قد سُجِّلت في حلقاتٍ للفضائية اليمنية تتعلقُ بالأخلاق, إكتتبها بعضُ إخواننا من الراغبين الصادقين في إرادةِ النفعِ والانتفاعِ, وهاهُم

---

[1] (?) سورة الشمس آية (9) .
[2] (?) سورة الأعلى آية (14) .
[3] (?) سورة آل عمران آية (159) .

يقدِّمونها تـذكرةً وتبصـرةً ووسـيلةً وسـببًا لِحيـازةِ الخيرِ العظيم والفضلِ الجسيم, بابتعاثِ الرغَبـاتِ في انتهاجِ النهج القويم والصراط المستقيم .
وما أكَثر ما مُلأت الكتبُ بين المسلمين بغير ما ينفع, وبما هو أقل شأنًا من هذا الموضوع الراقي الأرفع . فجديرٌ بالمسلمِ أن يكون له التفاتٌ إلى هذه الدواعي التي تدعوه إلى العلو, والبواعثِ التي تبعثُه على حسنِ طلبِ المجدِ والسمو .. وبالله التوفيق. نسألَ الحقَّ تبارك وتعالى أن ينفعَ بها المتكلمَ والسامع, والكاتبَ والقارئ المطالع, وأن يجعلَ لها بين أهلِ هذه الأمةِ نفعًا عظيمًا, ويجعلَ فيها سببًا لإحياءِ الخُلُقِ الكريم والمنهج القويم.. وعليه توكّلنا وبه نستعين, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم اهدنا لأحسنِ الأعمالِ والأخلاقِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنت, واصرف عنَّا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين .

المؤلف
عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الأول

التعريف بالأخلاق

الحمد لله رب العالمين .. الذي خلقَ وفطَر , ودبَّر وقدَّر, ربُّنا الأعلى , الذي خلَقَ فسوَّى , والذي قدَّر فهدى .. نشهدُ أنهُ الله البارئ الفاطر , عالمُ الباطنِ والظاهر .. ونشهدُ أنَّ سيَّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسوله , بُعِثَ لِيُتَمِّم مكارمَ الأخلاق , وكان الحبيبَ لمولانا الخلَّاق , اللهم أدِم صلواتِك على مَن عظَّمتَ خُلُقَه في كتابِك, سيدِ المرسلين, وخاتمِ النبيين, محمدٍ وعلى آلِهِ الأطهار, وأصحابه الأخيار, ومن على مَنهجِهم سار .. وخَلِّقنَا اللهمَّ بأخلاقِه, وأدِّبنا بآدابه, برحمتك يا أرحمَ الراحمين .

أما بعد: فإنَّ مِن أعلى ما يجرِي فيه الحديثُ بينَ أهلِ هذه الملة, ومن أعظمِ ما يُدار حولَهُ الفكرُ والنظرُ والاستبصارُ المقصودُ من الخَلقِ والرسالة, موضوع الأخلاق التي يجبُ أن يتَّصِفَ بها الذي آمَنَ باللهِ ورسولِه, والذي أسلَمَ وجهَهُ للهِ من كل مَن شَهِدَ شهادةَ الحق .. **أخلاق الإسلام ونقصد بها الصفات التي نَدَبَ الإسلامُ إليها ودعا كلَّ مسلمٍ إلى التَحَلِّي والاتصاف بها .**

الأخلاقُ صفاتٌ وشمائلُ تُمَثِّل للإنسانِ صورةً باطنيَّةً معنويةً روحانية, عليها يُحشَرُ يومَ القيامةِ عندَ ظهورِ الحقائق, كما أنَّ للإنسان مقابلَ الأخلاق التي هي جمع خُلُقٍ خَلْقٌ, والخَلْق ينصرفُ أولاً في الذهن إلى الصورة الجسمانية, فهذا الخَلْقُ للجسم إذا انتظم وحَسُنَ سَمِّيَ حُسْن خَلْق, وهو أن تكونَ الصورةُ الظاهرةُ حسنةً .. كذلك الصورةُ الباطنةُ لهذا الإنسان إذا انتظمَت من جميلِ الصفاتِ ومحاسنِ الشمائلِ وكريمِ الأخلاقِ صارت صورتُه الباطنةُ حسنة وسُمي ذلك حسن خُلُق, وتلك الصورةُ الباطنةُ هي التي إليها نظَرُ الحقِّ جل جلاله وهي التي يُحشَر الإنسانُ عليها يومَ القيامة .

فتبيَّن بهذا أنَّ الصورةَ الجسمانيةَ لا تساوي في المنـزلةِ ولا في المكانةِ الصورةَ الباطنةَ المعنوية لهذا الإنسان, فوَجَبَ على الإنسانِ العاقلِ المؤمنِ أن يَصرِفَ عنايتَه لتقويمِ أخلاقِه ولاتِّصافِهِ بما أحَبَّ اللهُ منه أن يتَّصِفَ به, ويأخُذَ من البعثةِ النبويةِ مقصودَها حيثُ يقول نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ((**إنما بعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**))[1] وانبعاثُ الرغبةِ في الاتِّصافِ بالخُلُقِ الحسنِ عندَ الإنسانِ يوصِلُهُ إلى تتميم مكارِمِ الأخلاقِ فيه ، بمعنى أنَّ الإنسانَ قد يُطبَعُ على التَخَلُّقِ بالأخلاقِ غير الطيبةِ وغير

---

[1] (?) رواه مالك وأحمد والبخاري في الأدب المفرد الحديث: (273) والبيهقي في شعب الإيمان, والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة.

المحمودة فهل يمكن الخلاصُ منها أو لا يُمكن ؟ وقد يفقدُ كثيرًا من الصفات الحسنة الجيدة . والبشر والمكلفون ممن وُجِّهَت إليهم الرسالةُ لديهم قابليةٌ لأن تَتَحسنَ هذه الأخلاقُ فيهم فتَرتَقِيَ مراتِبُهم .

وإنما الأممُ فإنْ همُ ذهبتْ

نسأل الله أن يوقعَ نورَ هذه الأخلاقِ في قلبِ كلِّ قارئٍ لها, ويفتحَ له بابًا من التوفيق, حتى يتَّصفَ بتلك الأوصاف , ويعتليَ في ذلك المنار, الذي بُعِث به المختار .. اللهم حققنا بذلك بمحضِ فضلِك وجودِك وكرمك .. يا أكرمَ الأكرمين . . وياأرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

□□□

الدرس الثاني:

قابلية الأخلاق للتغيير

الحمدُ لله رب العالمين , وصلى الله وسلَّمَ على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين , وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين , والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين, وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

وبعد : فقد انتهينا في الدرس السابق إلى أنَّ مكارِمَ الأخلاق يُمكِن اكتسابُها, ويمكن لكلِّ فردٍ من المُكلَّفين أن يَتطهَّرَ عن رَذيلِ الصفات والأخلاق, ويتحلَّى بِحميدِها وكريمِها وحَسَنِها وجَميلِها, وذلك بِصِدقِه في الطلب وقيامِه بالعزمِ في تحقيقِ هذا الأَرَب والمَطلَب . فإذا تمَّت منه هذه العزيمةُ أخَذَ يُلاحِظ ما يَصدُر منه في أقوالِه وأفعالِه وكيفيَّاتِ معاملاتِه ليُحَسِّنَ صورتَهُ الباطنةَ . كم نرَى في الأمة مَن أنفقوا الأموالَ ومَن تكلَّفوا المشاق لأن يُحسِّنُوا شيئًا مِن مظاهِرِ خَلقِهِم في أعضائِهم ويُجمِّلوها, وكلُّ ذلك لا يساوي شيئًا بالنسبةِ لِتحسينِ الأخلاق, فليَعقلِ المؤمنُ هذه الحقيقةَ, وقديمًا قالَ بعضُ العارِفين الأكَابر مِن أهلِ القرن السادس من أهلِ اليمن: مَن شَغَلَهُ تغذيَةُ جَسَدِه عن تغذيةِ روحِه فليَطلب أجرَه مِن الحيتان والديدان التي تأكلُ جسدَه, هذا لأنه إنما عاشَ خادمًا لها إذ هِمَّتُه مصروفةٌ إلى أن يُغذِّيَ هذا الجسدَ منقطعًا عن تغذِيَةِ روحِه وتَهذيبِ خُلُقِه فهو يخدمُ تلكَ الديدان التي مآلُ

الجسدِ أن تَنْخَرَ فيهِ, وأن تأكلَه تلك الحيتان, لأجلِ ذلك وصفَ الإمامُ الحداد عليهِ رضوانُ اللهِ حالةَ الإنسانِ بعدَ موتِه بالنسبة لما يتعلَّقِ بالخَلْقِ الجسدِي إذا غابَ عن ذهنِه أمرُ الخُلقِ المعنوي الباطني فقال:-

تلك القبورُ وقد ... **بعد الضَّخامة في**

بعدَ التشَهِّي وأكْلِ ... **يأكُلهم الدودُ تحتَ**

تغَيَّرتْ منهمُ الألوانُ ... **مَحاسِنُ الوجهِ**

وعافَهُم كلُّ مَن قد ... **من الأقارب**

مهمة المؤمن الاعتناء بتقويم أخلاقه:

فتــبيَّنَ أنَّ اعتنــاءَ المــؤمنِ بِتَقــويمِ أخلاقِه هو مُهِمَّتُه الــتي ينبغي أن يفكــرَ فيها ويــدأبَ عليهــا, لذلكم جاءت هــذه الــدروس تعـالجُ موضـوعَ هـذه الأخلاقِ والتـــذكير بها وكيفية اكتِســـابِها, ليكـــونَ المـؤمنُ مؤدِّيـاً لِمهمتـهِ في هـذه الحيـاةِ متصـلاً بالرســـالةِ وصـــاحِبها الـــذي بُعِثَ ليتَمم لنا هـــذه المكارمَ الخُلُقِية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ولقد أثـنى عليه ربُّه جل جلاله في قرآنه وقال له حِينَما وصَفَه ُالكفارُ بـالجنونِ ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[1] ورَدَّ عليهم بما يشـــاهدونَ من خُلُقه العظيمِ الـذي يعـترِفُ به الكـل, ويقـول إنَّ

[1](?) سورة القلم الآيـات (1-3) .

الخُلـقَ العظيمَ مقـترِنٌ بالعقـلِ العظيمِ, ولو كـانَ مجنونًا لَمَا أمكنَ صُـــدُورُ الأخلاقِ العظيمـــةِ منه , فـــإنَّ الخُلُـــقَ العظيمَ منهجٌ سَـــوِيٌّ في الحيـــاةِ لاستقبالِ أحداثِ الحياةِ والتعامُلِ معها, ولا يكــونُ ذلك إلا مِن صاحبِ العقلِ الواسعِ, لأجلِ ذلك جـاءَ في تعريـــفِ العقـــلِ أنَّه مَلَكَــةٌ في النفسِ تمنَــعُ صـــاحبَها عن ارتكـــابِ القـــبيح, فتَعقِيلُها للإنســـانِ وعَقْلِها إياه - بمعنى حَبسِـها إيـاه مِن الوقـوعِ في المخازِي والأسواءِ - هو حقيقةُ العقلِ . إذن فإنما يملكُ نفسَه عندَ الغضبِ ويتَخَلَّقُ بـالخُلُقِ الحســنِ صـــاحِبُ العقـــلِ الواســـعِ, ومن كـــانَ أعقَـــلَ كـــانَ أضبطَ لهذه النفسِ وكانَ أحرَسَ لها مِن أن تُدَنِّيــهِ إلى ما لا ينبغي ولاَ يليقُ به .

مهما تبيَّن ذلكَ فإنَّ الأخلاقَ التي بُعِثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لِتَتمِيمِها, عليها مدارُ صلاحِ الناسِ في حياتِهم ومَثُوبَتِهم الكُبرى بعدَ وفاتِهم .. لأجلِ هذا وَجَبَ على كلِّ فردٍ من المسلمين أن يعتنِيَ بهذه الأخلاقِ في نفسِه وفي أسرَته ومَن هو مسئولٌ عنهم ..

وفَّقنا الله للتَّخَلِّي عن الصفاتِ الذميمةِ والتَّحلِّي بالصفاتِ الكريمةِ .. اللهم آتِ نفوسَنا تقواها, وزكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها أنت وليُّها ومولاها .. اللهم اهدِنا لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنت, واصرِف عنا سيِّئها لا يصرفُ عنَّا سيئها إلا أنت .. برحمتك يا أرحمَ الراحمين , وجودِك يا أجودَ الأجودين..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ,
والحمد لله رب العالمين .

الدرس الثالث

عظمة الصبر وضرورته في حياة المسلم

الحمد لله , وصلى الله وسلمَ على المُرسلِ رحمةً بالرحمةِ العظمى , وعلى آله وأصحابه الذين تأدبوا بآدابِه , وساروا في طريق صوابِه , ومن تبعَهم بإحسان , إلى يوم وضع الميزان..

أما بعد: فإن خُلُقَ **الصبر** من أعظم الأخلاقِ التي ربَّى الأنبياءُ أتباعَهم عليها, وقد حلاَّهُم المولى جل جلاله بها فكانوا قدوةً فيها, ولقد أثنى اللهُ تبارك وتعالى على أهليها, فقال سبحانه وتعالى في كتابه في ذكرِ بعضِ أنبيائه ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1] ولقد قال جل شأنه ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[2].

ولقد قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[3] ولقد قال نبيُّه المصطفى محمدٌ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**والصبر ثوابه الجنة**)) عندما ذكر فضل شهر رمضان فقال ((**وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة**))[4] . وكما قال تعالى في كتابه ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ

---

[1](?) سورة ص آية (44) .

[2](?) سورة الزمر آية (10) .

[3](?) سورة الشورى آية (43) .

﴿ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (1)

بيان معنى الصبر:

والصبرُ: حَملُ النفسِ على تَحَمُّل المشاقِّ وتَكلُّفِ المكروهاتِ لها , وتَرْكِ مَحبوباتٍ أو مألوفاتٍ لها ليسَت في صالِحها تُردِيها أو تُهلِكُها أو تُضَيِّعُ و تُفَوِّت عليها خيرًا كبيرًا .. الصبر بهذا المعنى جندٌ من جنودِ العقل, تُضبَطُ به حركةُ الإنسانِ ، ويَقُومُ به ميزانُ الإنصافِ للناس , ويُوصِلُه ذلك إلى تركِ الانتصافِ للنفس, وهو وصفٌ مِن أوصافِ الكمال .. الصبرُ بهذا المعنى يحمل عليه حقائق الإيمانِ بالرحمنِ جل جلاله, والتصديق برِسالةِ نبيِّه المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

الصبرُ على المشاق مِن الواجبات والمندوبات ومما فيه المنافعُ والمصالحُ في الحياةِ الدنيا والآخرة, ويُعبَّر عنه بالصبرِ على الطاعةِ وأدائها على الإحسانِ, والاستمرارِ والمواظبةِ عليها .

وصـــبرٌ آخر هو عن محبوبـــاتٍ لهـــذهِ النفس ومُـــراداتٍ لها يعلمُ العقـــلُ أنَّ فيها ضـــرَراً عليها ويُؤدِّي بها إلى شـؤمٍ وبلاءٍ فتصـبرُ عنها مع أصـلِ

---

[4] (?) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه الحديث: (1887) والبيهقي في شعب الإيمان الحديث: (3608) عن سلمان الفارسي .

[1] (?) سورة الرعد آية (23).

رغبتِها فيها لِما تعلمُ مِن غَوابِيها[1] ومِن عواقِبهـــا, فلذلك تُحجِمُ عنها وتتخلّى منها وتتباعد وإن كانت محبوبـــةً لهـــذه النفس, ويُعبَّر عنه بالصـــبرِ عن المعاصـي, ويـؤدي هـذا الصـبرُ عن المعاصي إلى تَركِ كثيرٍ مما ليسَ بِحـرامٍ بل مما ليس بمكـروهٍ في الشـــرع إذا حكمَ العقـــلُ أنَّ فِعلَه والقيـامَ به يُنقِصُ فائدةً , أو يَحُولُ بينه وبين مرتبـةٍ رفيعـةٍ أو خـيرٍ يكـونُ له في الـدنيا أو الآخـرة, هـذا الصـبرُ يؤدِّي إلى حسنِ تَقَبُّلِ الإنسانِ لمُختلـفِ الأحـداثِ الواقعةِ عليه, قال جل جلاله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[2] قـال عمر بن الخطـــاب: نعم العِـــدلان ونِعم العَلاوَة [3] .. عليهم صـــــــلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتـــدون, نعم العـــدلان والعلاوة الصـــلوات والرحمة والهداية كلها للصـــــــابرين, فما أعظمَ منـزِلة الصـبرِ عند الله تبـارك وتعـالى, وما أحـوجَ العاقلُ إليه, وإنا نرى غيرَ المؤمنين يَصبِرون على مشـاق كثـيرة ليقطعـوا على أنفسـهم المشـاكل, وليتوصَّـــلوا إلى الأغـــراضِ الفانية , فكيف حالُنا مَعشَر مَن آمنَ لا نصبِرُ عن ما بِه تحصيلُ سـعادةِ الأبد وكفايـــةُ شـــرورٍ لا نهايـــةَ لها .. وفَّقنا الله

---

[1] (1) أي ما في طياتها من محذور .

[2] (?) سورة البقرة الآيات (155-157) .

[3] (?) رواه البخاري في صحيحه عند تفسير قوله تعالى ((أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون...

لحسن الصبرِ والالـتزام به حـتى يعطينا منه أجـرًا بغيرِ حساب .. إنه أكرم الأكرمين ..

وصلى الله على نبيِّه المصطفى سيدِ الصابرين محمدٍ وآله وصحبه أجمعين .والحمد لله رب العالمين .

أنواع الصبر

الحمدُ لله, وصلى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ ومن اهتدى بهداه, وبعد فلقد انتهَينا في الدرس السابق إلى عظَمةِ الصبرِ, وضرورتِه في حياةِ المسلم .. وأنه تتعلقُ به المصالحُ الفانيةُ والباقيةُ فَلِذا وَجَبَ على المؤمن أن يهتَمَّ به, بأن يلاحظَ نفسَه من حينِ أن يستيقِظَ إلى حينِ أن يمسيَ فيبني أمورَه على الصبرِ ويعلم أنه ما دام في دارِ الدنيا فلابد له من الصبرِ, وفي الإشارةِ إلى أنَّ الصبرَ هو الطريقُ للوصولِ إلى الجنة, يقول نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم ((**حُفِّتِ الجنةُ بالمكاره**))[1] .. فلا يَصِل إليها إلا مَن صَبرَ على هذه المكاره , وتحمَّلَ هذه المشاق , وقد جاءَ في الحديث أنَّ اللهَ لما خلقَ الجنةَ بما فيها من زينةٍ ونعيمٍ عظيمٍ أرسلَ إليها سيدَنا جبريل عليه السلام ينظرُ فيها, فلما رآها عادَ إلى ربه , فقال له الله تعالى: كيف رأيتَ الجنة ؟ قال يارب رأيتُ فيها ما يَجِلُّ عن الوصفِ ولا يسمعُ بها أحدٌ إلا حرَصَ على أن يدخُلَ فيها . فحَفَّها بالمكاره , ثم قال ارجِع فانظر إليها فلما نظَر إليها ورأى ما حُفَّت به مِن المكاره عاد , وقال يارب لقد خشيتُ أن لا يدخلَها أحدٌ ؛ ثم خَلقَ النار فأرسلَ جبريلَ ينظرُ إليها فعادَ فقال:

---

[1] (1) رواه البخاري في كتاب الرقاق – باب حجب النار بالشهوات الحديث: (8/127) , و مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها الحديث: (2822) من حديث أنس .

يارب لا يسمعُ بها أحدٌ فيدخلها أي لاحتاطَ بنفسِه وتجنَّب أسبابَ الوصولِ إليها فلا يَصِلُ إليها مهما كانَ عاقلاً . فحفَّها بالشهوات , فلمَّا حُفَّت بالشهوات قال: ارجع فانظُر إليها , فنظَر إليها وهي محفوفةٌ بشهواتِ النفوسِ عادَ فقال يارب لقد خشيتُ أن لا يسلمَ منها أحَدٌ [1] .. فحفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات . لأجلِ ذلك وجَبَ أن تتفقَّد حالَكَ مِن حينِ أن تصبحَ إلى حينِ أن تُمسي كيف أنت في إقامةِ وَصفِ الصبرِ معكَ ؟ أتستيقظُ وقتَ الصلاةِ حينَ يطيبُ لك النومُ في وقتٍ يؤذِّن المؤذنُ فيه .. الله أكبر .. يكونُ عندَ النفسِ استِحلاءُ المنام وإرادةُ البقاءِ على الفراش , وخصوصًا أوقاتَ الشتاءِ ووقتَ شدَّةِ البردِ في الأماكنِ التي يشتدُّ فيها , والمنادي يقول الله أكبر, ويُذكِّرُكَ بالشهادتين , ثم يُذكِّرك بِحَيَّ على الصلاة وحيَّ على الفلاح . وقد يقول لك الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم فهل أنتَ تصبرُ على تَركِ النومِ في ذاك الوقتِ وتُسارِعُ وتُبادِرُ إلى امتثالِ أمرِ الله .. وإلا رتِّب نفسَكَ على الصبرِ في هذا الوقتِ في كلِّ يومٍ, واستيقِظ في الوقتِ الذي شرعَ اللهُ لك أن تستيقظَ فيه, وإن عَلَتْ بِكَ الهمَّةُ الإيمانيةُ فأنتَ تحبُّ أن تشاركَ المستغفرينَ بالأسحارِ

---

[1] (?) رواه أبو داود في سننه الجزء الثاني- باب في خلق الجنة والنار الحديث: (4744). الترمذي في أبواب صفة الجنة، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.الحديث: (2685) وقال: حديث حسن صحيح , والنسائي في المجلد السابع – كتاب الأيمان والنذور .

فتستيقظَ قبلَ الفجرِ أيضًا وترغَبَ في ذلك, ثم انظر كيف تنطَلِقُ في يومِك .. في مُعامَلتِك مع أهلِ بيتِك هل أنتَ صابرٌ على تذكيرِهِم بالفرائِض وإقامَتِهم بِأمرِ الصلاةِ ؟ هل أنت صابرٌ على ملاحظةِ أخلاقِهم ؟ أو أنَّ حديثَك في البيت معهم محصورٌ مقصورٌ على أكلِكُم وشُربِكُم وما يتعلَّقُ بِملابِسِكُم وتهيئَةِ منازِلِكم , ثم ما يتعلَّقُ بأخبارٍ عامةٍ قد لا تَعنِيكم من هنا ومن هناك, فلا تُخاطِبُهم ولا تُكلِّمُهم حولَ واجباتِ دينِهم, ومسؤولية أنت سُئِلتَ عليها هلاَّ صَبرتَ على هذه المسؤوليةِ , وربك يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[1] إن كانت لسانُكَ اعتادت أن تغتابَ المسلمينَ كلَّ يومٍ وليلة , فهل أنت من أهلِ الصبرِ حتى تَكُفَّ اللسانَ عن الخوضِ في أعراضِ المسلمينَ فإنَّ ذلك يشينُكَ في دينِكَ ويُنقِصُ مَنـزِلَتَكَ عندَ ربِّكَ , والحقُّ يخاطبُكَ في قرآنه ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾[2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم **((الغيبةُ أن تذكرَ أخاكَ المسلمَ بما يكره))** فقال له صحابي : أرأيتَ إن كانَ في أخي ما أقول ؟ فقال : **((إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه , وإن لم يكن فيه ما تقول فقد**

---

[1](?) سورة التحريم آية (6) .

[2](?) سورة الحجرات آية (12) .

بهتَّه))[1] والبهتانُ أعظمُ والعياذ بالله تبارك وتعالى .

فاصبِر على تقويمِ لسانِكَ حتى لا تَنطِقَ بِالغيبـةِ , ولعلَّكَ تسـاهَلتَ بالكـذبِ في شـيءٍ مِن أحوالِك ومعامَلتِك , فهل تصـبرُ على ضـبطِ لسـانِك حـتى تزجُرَها عن الكـذبِ , وتَعلم وتـيقَّن أنَّ الكذبَـةَ لا تخــرجُ من فَمِ الإنســان إلا تَبَاعَــدَ الملَكــانِ عنــهُ مســافةَ ميل مِن نِتَنِ ما يخـــرجُ مِن فَمِــه, وربك يقــول ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [2] وتتذكَّر قولَ نبيِّك وقد سُــئِلَ أَيكــذبُ المــؤمن؟ قــال ((**لا إنَّ المــؤمنَ لا يكذب))**[3] وتلا قولَه تعالى ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ ﴾ [4] اللهم حقِّقنا بحقــائقِ الصــبرِ على الطاعــاتِ والصــبرِ عن المعاصي , والصــبر على الشـــدائد والبلايا , حـــتى تكتبَ لنا الأجـــرَ العظيم والخـــيرَ الفخيم , وتثبِّت أقـــدامَنا على

---

[1] (?) رواه مسلم في كتاب البر والصلة و الآداب- باب: تحريم الغيبة الحديث : (2589) و أبو داود في كتاب الأدب- باب في الغيبة الحديث: (4866), والترمذي في أبواب البر والصلة- باب: ما جاء في الغيبة الحديث : (1999) وقال : حديث حسن صحيح .

[2] (?) سورة ق آية (17) .

[3] (?) رواه ابن عساكر عن عبد الله بن جراد..وابن عبد البر في التمهيد.

[4] (?) سورة النحل آية (105) .

الصـراطِ المسـتقيم برحمتـكَ يا أرحمَ الـراحمينَ ويا أكرمَ الأكرمين .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. والحمد لله رب العالمين .

□ □ □

الدرس الخامس

ثبات خلق الصبر

الحمد لله حمدًا ندرِكُ به المزيدَ من إفضالِهِ , ونتلقَّى به الفائضَ من نوالِه , وصلى الله وسلَّمَ على حبيبه وصفوته وعبده محمدٍ المجتبى وعلى آله وأصحابه ومن سار على دَربِه, وعلينا معهم وفيهم إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

أما بعد: فإنه قد سبقَ الحديثُ عن الصبرِ ، وهو أساسٌ في الأخلاق , إذ يحتاجُ إليه المُتَخَلِّقُ بِكلِّ خُلُق , كل خُلقٍ كريمٍ يحتاجُ من صاحبِه إلى الصبر .. ولأن يدومَ على ذلك الخُلقِ يحتاجُ منه إلى الصبر , ولأن يأخُذَ بالأسبابِ التي تُمَكِّنُ فيه الخُلقَ الطيِّبَ يحتاجُ منه إلى الصبر , فلذلك في مِثل الصبر كان مما ينفعُ في تثبيتِه - وهو قاعدةٌ في بقية الأخلاقِ - أن تذكرَ ثوابَ الله الذي أعدَّه للصابرين , وأن تتذكرَ في كل موقفٍ يحتاجُ إلى الصبر عاقبتَه إن صبرتَ, وعاقبتَه إن لم تصبر , ولقد كتبَ بعضُ العارفين من المُعَزِّين لِمُعزًّى يُعزِّيهِ بموتِ قريبٍ له : اعلم إنك إن صبرتَ نَفذَ قضاءُ اللهِ وأنتَ مأجور , وإن جزعتَ نفذَ قضاءُ الله وأنت مأزورٌ , فقضاءُ الله نافذٌ في كلا الحالَين ولكن إن صبرتَ ثبتَ الأجر , وإن جَزعتَ ثبتَ الوِزرُ والعياذ بالله تبارك وتعالى ..

يحتاجُ المؤمنُ إلى تَذَكُّرِ فضائلِ الأوصافِ الحميدة , وينفعُ أيضاً في تثبيتها فيه ذكرُه لأخبارِ

وحكاياتِ أهليها فعندَ ذكرِه لأخبارِ الصابرينَ وقِصَصِهم التي مرَّت في الحياةِ تترَسَّخُ صفةُ الصبرِ فيه وتقوى في تَمَكُّنِها منه , حتى يقتديَ بهم ويهتديَ بِهديِهم , ولقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا قصصًا للصابرين من أنبيائه والعباد الصالحين , وحملت لنا السيرةُ النبويةُ صبرَ المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو الذي قال في صبرِه وفي تواضُعِه عليه الصلاة والسلام وقد مشى خلفَه الناسُ في زحمةٍ حتى اضطرُّوه إلى شجرةٍ فتعلَّق بها رداؤُه وسقطَ, **فقال ((أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاة**[1] **نعمًا لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا كذوبًا ، ولا جبانًا))**[2] ثم لم يزالوا به حتى التَفَتَ وقال ((**رحمَ الله أخي موسى لقد أوذي بأكثرَ مِن هذا فصَبر))**[3] ولأجل ذلك قالوا : ما عزَّى مُعَزٍّ وسلَّى نفسَه بمثلِ ذِكرِ مَن ابتُلِي بمثلِ مصيبتِه ، إذا ذَكرَ المبتَلِينَ بمثلِ ذلك هانَ عليه الأمر وخفَّت عليه الشدةُ ودعاهُ ذلك إلى تَمَكُّنِ الصبرِ منه .

---

[1] (?) العضاة : هي كل شجر عظيم له شوك.

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب : الشجاعة في الحرب والجبن الحديث: (2666) من حديث جبير بن مطعم .

[3] (?) رواه البخاري في كتاب المغازي – باب : غزوة الطائف الحديث: (4081) , وأحمد من حديث ابن مسعود .

أمثلة من صبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ولقد كانَ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلمَ مثالاً في الصبر مِن بدايةِ حياتِه ونشأتِه, بل مِن طفولتِه عليه الصلاة والسلام إلى أن كَبُرَ وأرسله الله تعالى ونبَّأه , مَضَت حياتُه عليه الصلاة والسلام على حُسنِ الصبرِ وهو القائل عن منـزلتِه ((**إنَّ مِن أقلِّ ما أوتيتُم اليقين وعزيمة الصبر، ومَن أُعْطِيَ حظه منهما لم يبالِ ما فاته من قيامِ الليل وصيام النهار**))[1] أي وإن نقصت بعضُ مظاهرِ العبادةِ المندوبةِ فإن وجودَ هذين الوصفينِ فيه يُعيضُهُ عن كلِّ ذلك ويرفعُ رتبتَه عند الله .. الوصفان هما اليقين وعزيمةُ الصبرِ وإنهما مِن أقلِّ ما أوتيتم أي لا يُؤتاهما إلا الأقل مِن العباد , وهم الذينَ اصطفاهُمُ اللهُ تبارك وتعالى وأرادَ سعادتَهم وفوزَهم .. جعلنا الله منهم .. فَيَنَمِّي الصبرَ ذكرُ أخبارِ الصابرينَ وما لاقَوه وما قاسَوه - وهو أشدُّ مِمَّا يلاقي أحدُنا من غيرِ ما شك - وكيف ثَبتُوا على ذلك وتَحمَّلوا وجالَدُوا وجاهَدُوا عليهم رضوانُ الله تبارك وتعالى , ويكفي في ذلك بعضُ الأمثلةِ من سيرةِ سيدِ الوجودِ محمدٍ صلى الله وسلَّمَ وبارَكَ عليه وعلى آله وهو الذي حينَ شُجَّ جبينُهُ وكُسِرت رُباعِيَّتُه ولما خرجَ الدمُ منه تلقَّاه بيده .. وقال : أخشى إن وقعت قطرةٌ

[1] (?) ذكره الغزالي في الإحياء وقال الزبيدي في الإتحاف هو من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة الباهلي.

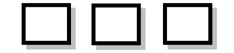
منه على الأرضِ أن يُعجِّلَ الله العذابَ عليهم , ثم قالوا له ألا تدعوَ عليهم فقد كان منهم وكان ؟ .. قال: ((**اللهم اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون))**[1].

ولقد أقبلَ عليه ذلك اليهودي وعنده له دَينٌ , فأخذَ يَجُرُّ رداءَ المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى احمَرَّ عُنقُه الشريفُ .. فقال : أدِّني دَيِني الذي عندك فما عُرِفتُم يابني هاشمَ إلا مطلاً , أي تُماطِلونَ الناسَ في حقوقِهم , فهو مع ذلك اعتدى عليه وسبَّه , ومَوعدُ الدينِ لم يحل بعد .. فقام سيدُنا عمر يقول : ائذن لي أن أضربَ عنقَه يارسولَ الله .. فقال : كنتُ أنا وهو أحوجَ إلى غيرِ هذا منك , مُرهُ بِحُسنِ الطلبِ ومُرنِي بِحُسنِ القضاء , واعلم أنَّ موعِدَ الدينِ لم يحل وبَقِيَ منه ثلاثةُ أيامٍ فقم ياعمر واقضِه حقَّه وزِدهُ عشرين مَكانً ما رَوَّعتَهُ , فأخَذَه وزادَه عشرين , قال ياعمر : إني ما فعلتُ ذلك إلا أنِّي قرأتُ وَصفَ رسولِ الله في التوراةِ فوجدتُ جميعَ الأوصافِ فيه إلا وصفَين : الحلم , وأنه لا تزيدُه شِدَّةُ الجهلِ عليه إلا حلمًا , وقد خبرتُهُما فيه اليوم, فأنا أسلم وهذا المالُ صدقة للمسلمين , فجاءَ إلى النبي وقال : امدُد يدَك فأنا أشهدُ أن لا

[1] (?) أخرجه ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد , وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

إله إلا الله وأنكَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[2].

اللهم ثبتنا على الصبرِ الجميل, وعلى متابعةِ نبيِّكَ الجليل, واجعلنا من القائمينَ بحقِّك يابر يارحمن , وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم .. والحمد لله رب العالمين .



[2](?) أخرجه الحاكم في المستدرك في الحديث: (6547) وقال صحيح الإسناد .

الدرس السادس

الحــــــِـــــــــــــلم

الحمدُ للهِ الرحمنِ الرَّحيم , الملكِ الحليم , وصلى الله وسلَّم على صاحبِ الخُلُقِ العظيم , الذي هدانا إلى النهجِ القويم , والصراطِ المستقيم , وعلى آلهِ وصحبِه ومن سارَ على سبيلِه واهتدى بِهديهِ إلى يوم الوقوفِ بين يَدَيِ اللهِ العظيم , وعلينا معهم وفيهم .

أما بعد: فإنَّه عندَ الأحاديثِ السابقة عن الصبر جاءت لفتةٌ إلى خُلُقِ **الحِلم** الكريم , خُلق الحلم الذي بَرأ الله عليه أنبياءَه ورسلَه , خُلق الحلم الذي وصفَ الله تعالى به نفسَه في كتابِه, خُلق الحِلم الذي جاء عنه ((**كاد الحليم أن يكون نبيا**))[1] خُلق الحلم الذي يجعلُ صاحبَه سيدًا بينَ الناس , خُلق الحلم له مرتبةٌ عظيمةٌ بل لا تستَقرُّ حقيقةُ العلمِ إلا بِرُسوخِ وصفِ الحِلم . الحلمُ ملك النفسِ عند الغضب , وهو مِلكٌ شريفٌ أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استوصاه بقوله **لا تغضب** . فَردَّدَ طلبَ الوصيةِ مِرارًا .. جاءه من الشقِّ هذا والشقِّ الآخر بعد أن جاءه أمامه , فقال: ((**لا تغضب لا تغضب لا تغضب**))[2] ثم قال ((**ويحُك أما تَفقه قلتُ لكَ لا تَغضَب**)) . فأوصاهُ النبيُّ بهذه الوصية ,

---

[1] (?) رواه الخطيب في التاريخ , والديلمي عن أنس بن مالك مرفوعاً , والسيوطي في الجامع الصغير وقال حديث ضعيف .

والمعنى لا تُنَفِّذ غَضَبَك .. أُملك نفسَك عند الغضب , وقد جاءَ في الحديث ((**ليس الشديدُ بالصُّرَعة , إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عند الغضب**))[1] ليس الشديدُ بالصرعة : أي صاحب القوة الجَسدية التي يصرعُ بها الرجال فليس هذا هو الشديد القوي .. ولكن الشديدَ الذي يملكُ نفسَه عند الغضب . إذا غضبَت نفسُه تمالَك وأقامَ الميزانَ حتى لا يَتصرَّفَ إلا بما هو أولَى وأليَقَ , كم يصادفُك في اليوم من أنواعِ الغضب فإن كنتَ سريعَ التفاعُل والتأثُّر فأنتَ تحتاجُ إلى أن تتهذَّبَ بِدِينك هذا , وبمنهجِ اللهِ الذي أرسلَ به نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم, وتأخُذَ مِن أخلاقِ الإسلامِ الحلمَ حتى تَتَعوَّدَ أن لا تقابلَ مَن أساءَ إليكَ بالمبادَرةِ بالإساءَة , وحتى يَصدرَ منكَ الجميلُ أمامَ إيرادِ السوءِ إليك , وحتى تحوزَ الوصفَ الذي يحبُّه ربُّكَ جل جلاله مِنك وفيك , وهو وَصفُ الحلم والتغاضِي عن المَعايِب وجزاءُ السيئةِ بالحسنة .

هذا الحِلمُ مِن شأنِه أن يدفعَ آفاتٍ كثيرةً عنِ الإنسانِ في حياتِه .. كم فتحَ الغضبُ مِن أنواعِ

---

2 (?) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب الحذر من الغضب الحديث: (5765) , والترمذي في أبواب البر والصلة- باب: ما جاء في كثرة الغضب الحديث: (2089) .

1 (?) رواه البخاري في كتاب الأدب- باب : الحذر من الغضب الحديث: (5763) , ومسلم في البر والصلة و الآداب – باب: فضل من يمسك نفسه عند الغضب الحديث: (2609) .

شرورٍ وإيغارِ صدور ووقوعٍ في مَهاوٍ كثيرةٍ تؤدِّي إلى أضرارٍ واسعةٍ خطيرةٍ بسببِ كلمةٍ يَتكَلَّمُ بها الإنسانُ في غَضَبٍ أو تَصَرُّفٍ يتصرَّف به وهو مُغضَب لذلك قال الحكيم: إذا غضبتَ فتذكَّر غضبَ الله . حتى تملكَ نفسَكَ وتخافَ من غضبِ ذي القدرةِ والبطشِ الشديد جل جلاله , قال: تذكَّر قُدرةَ اللهِ عليك إذا غضبتَ فقدرتَ على خَصمِك أو على عَدُوِّكَ , وأنت في ذلك على مراتِب: فَمرتَبةٌ أن تُجازِيَ بالمثل . وأعلى منها ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] وفي الحديث ((**إذا أوقفَ الله العبادَ نادى مناد ليقُم من أجره على الله فليَدخل الجنة قيل: من ذا الذي أجره على الله قال: العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفا فدخلوا الجنة بغير حساب**))[2] يقومُ العافونَ عنِ الناسِ إذا نادى المنادي: لِيَقُم مَن كانَ أجرُه على الله , وإنَّما يكونُ العفوُ والحِلمُ عندَ المَقدِرَة, فَمِنَ الناسِ مَن يتظاهرُ بالحلم لأنه لا حيلةَ له في أن يُنَفِّذَ غَضَبَهُ ويَصِلَ إلى مقصودٍ من خَصمِه فَليسَ هذا بالحِلم , وإنَّما الحِلم أن يكونَ قادرًا على أذى من يُؤذِيه أو على أن يشفيَ غيظَه في مَن يُخاصِمُه ولكن يترك ذلك تَعَفُّفًا وأدبًا وطلبًا لِرِضا الربِّ جل جلاله, فهذا هو الحِلم المحمودُ عندَ اللهِ تباركَ وتعالى, وبه تَرتِفعُ المَنازل . جاء ذِكرُنا

---

[1] (?) سورة الشورى آية (40) .
[2] (?) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب .

للحِلم في مَوقِفِ[1] النبي صلى الله عليه وسلم مِن ذلك اليهودي الذي جاءَ قبلَ موعدِ الدَّين , فَخَبَرَ حِلمَه الشريفَ فشاهدَ منه الحلمَ الجميل صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله, ولقد تأثَّرَ ذلك المشركُ فدخلَ إلى الإسلام مِن أثرِ ما رأى مِن حِلمِ النبي المصطفى, وقد رآه أعرابي عندَ رجوعِهم من غزوةِ بني المصطلق وقد عَلَّقَ سيفَه بِشجرة وتركَ الصحابةُ هذه الشجرةَ لِسَعتِها وظِلِّها لنبي الله, وتفَرَّقوا في الشَجرِ المُتباعِدِ و نامُوا , ونامَ تحتَ الشجرة فنظره المشركُ من أعلى الجبلِ فخرجَ بينَ القوم حتى وصلَ إليه فاختَرطَ السيفَ فانتبهَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فمَدَّ هذا المشرك السيف وقال: مَن يَمنعُك مني يا محمد؟ فقال نبينا: (**الله**) فلما نطقَ بهذه الكلمةِ ارتَعدَ قلبُ ذلكَ الرجل وسقَطَ السيفُ من يده , فاحتملَ النبيُّ السيفَ وقامَ وقال: ومن يمنعُك مني الآن ؟ فقال لا أحد , كُن خيرَ آخذ , فقال: قد عفوتُ عنك , وأغمدَ السيفَ وردَّه في مكانِه ونادى على أصحابه يُقِيمُهم مِن المَنام فجاءوا والتَفُّوا حولَه ورأوا هذا الأعرابي . قال: إن هذا جاءني واختَرطَ سيفي وقال من يمنَعُكَ مني ؟ فقلتُ له: **الله** فسقطَ السيفُ من يَدِه فأخذتُه , فقلتُ من يمنَعُك مني ؟ فقال: لا أحد فعفوتُ عنه . فتوجَّه إلى أصحابه وقال: والله ما يكونُ هذا إلا مِن نبي .. أسلمَ ودعا أصحابَه

[1] (?) تقدم ذكره صفحة 22.

إلى الإسلام بِخُلُقِ النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[1].

خُلقُ الحلم .. هذا الحلمُ يأتي بالتَعوُّدِ عليه ((**إنما العلمُ بالتعلُّم ، وإنما الحِلمُ بالتحلُّم ، ومن يتحرَّ الخيرَ يُعطَه ، ومن يتق الشرَّ يوقَه))**[2] فإذا تعلمَ صارَ عالمًا بعد أن كان جاهلاً فكذلك يصيرُ الغضوبُ حليمًا إذا جاهدَ نفسَه وخالفَ غضبَه ومُقتَضاه وكظم غيظَه قال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3] ولذلك وقفَت بعضُ الجواري أمامَ الإمامِ الحليم علي زين العابدين فسقَطَ من يدها إناءٌ علَى وَلدِه فماتَ , فالتَفت فقالت ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ قال: قد كظمنا غيظنا, قالت: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ قال: وقد عفَونا عنك , قالت: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قال: وأنتِ حُرَّة لوجهِ الله أعتقناك, أنتِ حرة لِوجهِ الله الكريم . فنالَت العتقَ لمَّا ذكَّرتهُ بِكتابِ الله تعالى .

---

1 (?) أصل الحديث رواه البخاري في الحديث:(2750) كتاب الجهاد والسير باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة , ومسلم في الحديث: (843) في كتاب الفضائل باب توكله على الله وعصمة الله له من الناس من حديث جابر .

2 (?) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد في الحديث: (538) ,كتاب العلم- باب: العلم بالتعلم والدار قطني في الأفراد , والطبراني عن أبي الدرداء .

3 (?) سورة آل عمران آية (135) .

وهذه الأخلاقُ هي التي وصفَ الله بها عبادَه الصالحين والمؤمنين ، ولأجلِ ذلك جاء في الحديث ((**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللهِ ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ ،كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ))**[1] هذه أحب جرعةٍ إلى الله تعالى يتجرَّعُها المؤمن . حتى إنه جاءَ في الحديث **((من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا))**[2] ، فليُخاطبِ المسلمُ نفسَه كيف هو وهو يُستَغضَب كثيرًا .. وإنما فائدةُ الغضب أن يغضبَ لله تعالى . لذا جاءَ في السيرة النبوية [3] أنه كانَ لا يغضبُ لِنفسِه وإنما يغضَبُ لِلّه جل جلاله فإذا غَضِب لله لم يَقم أحدٌ لِغضبه , ويعفو عن الذنبِ إذا كانَ في حقه وسببه فإذا أُضِيعَ حقُّ اللهِ لم يقم أحدٌ لِغضبِه صلى الله عليه وآله وسلم .

فائدة وجود الغضب عند المؤمن :

إنما فائدةُ الغضبِ أن يقومَ المؤمنُ بِنُصرةِ شرعِ الله والغيرَة على دين الله .. وكيفَ يَتِمُّ الجهادُ والنُّصرةُ لدينِ الله لو لم يوجد هذا الغضب ؟ فوجودُ الغضبِ إذن في الطَّبعِ البَشرِي لِحكمَةٍ ولفائدةٍ يعلمُها الله تعالى. إنما الشرائعُ

---

[1] (?) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب الحلم الحديث: (4189) , والطبراني , وأحمد في مسنده عن ابن عمر, والسيوطي في الجامع الصغير وقال : حديث حسن .

[2] (?) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن ابن عباس, والسيوطي في الجامع الصغير وحكى ضعفه .

[3] (?) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة .

تُسَيِّرُ هذا الغضبَ وتُجرِيه في مجرَاه الصحيح فتَجعلَه في مكانِ ما يحبُّ الله . وحينئذٍ يقومُ الجهادُ في سبيلِ الله, وتقومُ الغيرَةُ على دينِ الله, فلأجلِ ذلكَ فانظر نفسَك مع أصحابِك متى تغضب؟ إن كانَ غضبُك عندما يتغيَّر عليكَ أمرٌ من مصالحِ دُنياكَ أوِ ترتِيبِك الخاص, وغَضبُك عندما تسمعُ سبًّا عليكَ, ثم لا غضبَ عندَ تَركِ صلاةٍ ولا عندَ نُطقٍ بِسبِّ المسلمين ولا عند أي معصيةٍ فعالج نفسَكَ قبلَ أن يُؤَدبكَ ربُّك جل جلاله, وقَوِّم هذا الخُلُقَ فيك .. اُنظُر متى تغضبُ في ليلِك ونهارِك مع أصحابك, ومع أهلِ بيتِك, ينبَغي أن يكونَ غضبُك لا إذا ضَاعت الدراهمُ, ولا إذا أخَّرُوا غَداءك, أو نَقَّصوا في طَبخِ عشائِك أو لم يُمَهِّدوا لك الفراشَ , وليكُن غضبُك عندما يُضَيِّع أحدُهم الصلاة , وعندما يَنطِقُ بِكلمةٍ لا يرضاها الله , وعندما يُجالِسُ مَن لا خيرَ فيه , وعندما تخرجُ المرأةُ إلى تَبَرُّجٍ, ومقابلةِ أجانب أو خروجٍ عن الحياء , فليَكُن غضبُك هنا , سَيِّر الغضبَ بِمنهجِ الله في مسارهِ الصحيح يُؤَدِّي الغضبُ فائدتَه مِن وجودِه فيك . ولأجلِ ذلكَ قالوا معنى قوله ((**لا تغضب**)) أي لا تنفِّذ غضبَك بل سَيِّره بِمسارِ الشريعة , وجاءنا الإرشادُ أنه ينبغي لِمن غضبَ وهو قائمٌ أن يجلسَ [1] أو وهو جالسٌ أن يضطجِعَ فإنَّ ذلك يخفِّفُ عنه الغضب حتى يتمالكَ نفسَه ,

---

[1] (?) رواه الإمام أحمد وأبو داود في كتاب الأدب- باب: ما يقال عند الغضب الحديث: (4782) , وابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة, والسيوطي في الجامع الصغير وقال:حديث صحيح.

وأُرشدَنا أيضا إلى الوضوءِ عندما يثورُ الغضب وفي الحديث: ((**إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وإِنَّمَا تُطْفأُ النَّارُ بالمَاءِ ، فإذَا غَضِبَ أحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأ**))[1] **..** هكذا شأنُ المعالجةِ لهذا الغضبِ الطارِئ على الإنسان , وقد جاء عن الشيطانِ أنه يقول إني لأوَسوِس على ابنِ آدمَ في قلبِه فإذا غَضب طِرتُ إلى رأسه فلعبتُ به كما يلعبُ الصبي بالكرة ..

اللهم ارزقنا الحلم واملأ قلوبَنا بنورِ العلم , واجعلنا من الهداةِ المهتدين , ووفِّقنا لَما ترضى وتحب يا رب العالمين , وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .. والحمد لله رب العالمين .

❑ ❑ ❑

---

[1] (?) رواه الإمام أحمد من حديث عطية السعدي, وأبو داود في كتاب الأدب- باب ما يقال عند الغضب الحديث: (4776) وابن حبان عن أبي ذر, والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث حسن

الدرس السابع

السماحة

الحمد لله , وصلى الله وسلمَ على نبيِّه وعبدِه وحبيبِه ومصطفاه , سيدِنا محمدٍ وآله وصحبِه ومن اهتدى بهداه ..

أما بعد .. فإنَّ مما يتصلُ بالحلم الذي سبَق الحديثُ عنه ودُعيَ كلُّ مُؤمنٍ إلى أن يتَّصفَ به, ويجعلَه في واقعِ حياتِه ومعاملاته, ويحملَ نفسَه عليه أمرُ السماحة .. السماحة في الإسلام من الأخلاق التي تَمَّمَها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دَعوتِه لأتباعِه ومَن آمنَ به, قال صلى الله عليه وآله وسلم ((**رَحِمَ الله رجلاً سَمحًا إذا باع، سَمحاً إذا اشترى ، سَمحاً إذا قضى ، سَمحاً إذا اقتَضى**))[1] وذلك أن السَّموحَ يكونُ أبعدَ عن مواطنِ الغضبِ وإثارتِه في النَّفسِ, بل من شأنِ سماحتِه أن يُسَكِّنَ بها سَورةَ الغضبِ عندَ مَن يُقابله وعندَ مَن يتعامَلُ معه .

والإنسانُ السَّمح هو الذي تَلينُ عَريكَتُه وتَحسُن عِشرتُه ويَبتعِدُ عن مظاهرِ الشدةِ ومظاهرِ العنفِ في قولِه وفي فعلِه ، فطَرحه سَمح ومحاولتُه للأمر سَمحَة وبيعُه سَمح وشِراؤُه كذلك, وقضاؤه

---

1 (?) رواه البخاري في الحديث: (1970) كتاب البيوع- باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع من حديث جابر, وابن ماجه في كتاب التجارات- باب السماحة في البيع الحديث: (2203).

إذا قضى ، واقتضاؤه إذا اقتضى حقَّه من غيره يكون على وجه السماحةِ, فيظفرُ برحمةِ الله بدعوة نبي الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .. إذ دعا بالرحمةِ للرجل السَّمح إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتَضى .

وهذه السماحة وصفٌ كريمٌ يُغرَسُ في قلوبِ أهلِ الكرامة, فقد يكون كبقيةِ الأخلاقِ مجبولٌ عليه الإنسانُ فيَسهلُ عليه أن يُرسِّخَه وأن يعملَ به . وقد يكونُ وهو الغالبُ أنَّ الإنسانَ يُجبَل على العجلةِ والسرعةِ والشدةِ في طَرحِ الأمور, والتَشبُّث بالرأي, وإرادة أن تكونَ الأمورَ على مقتضى مرادِه وهواه, وهذا تصعُبُ عليه السماحةُ فيما يحاوِلُ وفيما يريدُ وفيما يعامِلُ فهو إذا عامَلَ عامَلَ بِنوعٍ من الغِلظةِ والشراسةِ لأنه يريدُ تحقيقَ الأمرِ المرادِ لنفسِه بأيِّ وجهٍ كان, وكذلك إذا حاولَ أمرًا حاوله بالقوة والشدة, ومرجِعُ ذلك إلى غلبةِ النفس واستِعصائِها على ذلك الإنسانِ الذي ضَعفت قُوى عقلِه وحُسن تفكيره ونظَرِه في الأمور, بل الأمرُ متصلٌ على وجه الحقيقة بإدراكِ الإنسان أن الكونَ جارٍ على إرادةِ غيرِه وتقديرِ غيرِه وتدبير غيره, وهو الإلهُ الحق فإذا تصوَّر ذلك واعتقده وتحقق به رسخ في نفسه أنه مهما جرى أمرٌ فقد قدَّره الله ،ولا يكون إلا ما شاءه كما جاءنا في الحديث الصحيح : **((ما شاءَ اللهُ كان وما لم يَشأ لم يكُن))**[1] فخَفَّ عليه

[1](?) رواه أبو داود في كتاب الأدب- باب ما يقول إذا أصبح الحديث: (5067) .

الأمرُ وعلم أنه من المُتوقَّعِ دائما أن تأتي الأمورُ والأحوالُ على غيرِ مُشتهاه وعلى غير مراده , فهو عبدٌ ليس بِرَب, إنما الذي لا يكون إلا ما أراد هو واحد, وهو الله الواحد , فحينئذٍ ما الداعي إلى الشِّراسَة والحِدَّة ومحاولةِ الأمورِ بالقوة ، بل عُلِّمنا كنـزًا من كنوزِ جنةِ الله وهو قولُنا: ((**لا حول ولا قوة إلا بالله**)) ((**لا حول ولا قوة إلا بالله كنـزٌ مِن كنوزِ البر**))[1] أي كنـزٌ مِن كنوز الجنة, فحينئذٍ إذا ثبتَ في قلب المؤمن أنَّه عبدٌ مملوكٌ مخلوق وأنَّ الأمورَ تجري بإرادةِ مريدٍ مقدِّرٍ مُدبِّرٍ هو الله تعالى حَلَّت عنده السماحةُ فيما يريدُ محاولتَه, ولما سُئل بعضُ العارفين بِمَ عرفت ربك ؟ قال: بنقضِ العزائم إنِّي أُجمع العدةَ للأمرِ واجتمعُ عليه وأتوجَّه إليه فلا يُقدَّر ولا يكون , وأمورٌ لم تخطر على بالي فلا أدري إلا وسارت وكانت وحدثت , فعلمتُ أنَّ في الأمرِ تدبيراً غير تدبيرِنا وقدرةً غير قدرتنا .

يدبرُ المرءُ أمرًا ثم حتماً فتصرفُهُ عنه
لِيعلَمَ المرءُ أنَّ الأمرَ وفوقَ تقْديرِنا لله

فلأجلِ ذلك يجبُ على المؤمنِ أن يكتسبَ السماحةَ من إيمانه , ومن يقينهِ ومن توحيده فيكون متأدبًا مع الله تبارك وتعالى يعاملُ الحقَّ

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب التوحيد-باب قول الله تعالى وكان سميعا بصيرا الحديث:(6952) , ومسلم باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر الحديث: (2704) .

تعالى فيما أراد كما أحبَّ منه وأراد, فلا يغضب إلا لله جل جلاله وإذا حاولَ أمرًا حاولَه مستعينًا بربه, حاوله واثقاً بربه, حاولَه متأدِّبًا مع ربه, حاوله ليس بِمُصمِّمٍ أن لا يكون إلا مراده, بل تكون عزائمُه مصروفةً إلى ما طَلب منه الحق, لا إلى الأمور التي هي إلى الحقِّ يقضِي فيها بما شاء . . انظر إلى ما قد قضاه مما طلب منك فاجعل عزيمتَك في تنفيذِه, وأما أن يكونَ أمرًا آخر مما يتعلق بإرادتهِ ولا إرادةَ لك فلا ينبغي أن يحكمَ فيه رأيك ولا عقلُك وكُن مع ذلك سَمحًا في تعامُلِك, فالسماحة من خُلق الإسلام الذي جاءنا به نبي الله . .

اللهم سامحنا فيما جَنينا واعفُ واصفَح عنا, وخَلِّقنا بِخُلق السماحةِ والصفحِ والعفوِ والحلمِ ياربَّ العالمين . .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم والحمد لله رب العالمين .



الدرس الثامن

صلة الرحم

الحمد لله وصلى الله وسلم على صفوته محمد بن عبد الله وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

أما بعد فإنَّ مما دعانا إليه الحقُّ ورسـوله خُلـقَ الصِّـلةِ وخصوصـاً للأرحـام, وجـاءت صـلةُ الـرحم تَحتلُّ منــزلةً كبـيرةً في تعليمِ رسـولِ الله صـلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهديه الذي جاء بـه, وإرشاد الله تعـالى في قرآنـه, ولقد جـاءَ التهديـدُ والوعيدُ الشـديدُ لِمن أهمـلَ هـذا الخلـقَ الكـريمَ بِلَعنـةِ الله تعـالى وأن يعميَه وأن يُصِـمَّه قـال جل جلاله﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[1] أيُّ مــؤمنٍ على ظهـرِ الأرض يتلو هـذه الآية ثم يبقى مُصِـرًّا على قطيعـةِ رحمٍ ولو كـان رَحمُه أخـذَ مالَه كلَّه, ولو كان مالُه الدنيا بما فيها فأخـذه ذلك الـرحم لا يقوى المؤمنُ بعد قـولِ الله هـذا على الاسـتمرار على قطيعة الــرحم, إنْ هو إلا غــرور يَغُــرُّهم به إبليس يَحُول بينهم وبين رحمةِ الله تبارك وتعالى, ولقد جاءنا في الحــديث ((**إن الــرحم تعلَّقت بقوائمِ العـرش وقـالت يا رب هـذا مقـامُ العائــذِ بك من القطيعــة, فقــال : أمَا**

[1](?) سورة محمد الآيات (22-23) .

يرضيك أن من وصَلكِ وصلتُه ومن قَطعك قَطعته, أنتِ الرحم وأنا الرحمن شققتُ لكِ اسمًا من اسمي))[1] قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2] وقال نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ((**تُعرَض الأعمالُ على الله كلَّ اثنين وكل خميس فلا يقبلُ عملَ قاطع رحم))**[3] فقل للذي غرّته نفسه أن يستمرَّ على قطيعة رحم من أرحامه: أيرضيكَ أن تُرَد عليك صلواتُك وأعمالُك الصالحاتِ كلُها مقابل ماذا ؟ مقابل مالا يُعَد شيئاً أمام ردٍّ تسبيحةٍ واحدة ، فكيف بِرَدٍّ جميعِ الأعمال .

كما أن قاطعَ الرحم محرومٌ من المغفرةِ في الاثنين والخميس, ومحرومٌ من المغفرة في شهر رمضان الكريم المبارك . إذاً فَحقٌّ على كل مسلمٍ أن يتخلَّصَ من هذه السيئة والمصيبة الكبيرة . . واصِلِ أرحامَك وارتقِ في درجاتِ المواصَلة فإن نبيَّك صلى الله عليه وسلم يقول ((**ليس الواصلُ بالمكافئ))** أي الذي يَرُدُّ

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب التفسير- باب وتقطعوا أرحامكم الحديث: (4552), ومسلم في البر والصلة والآداب- باب: صلة الرحم وتحريم قطعها في الحديث: (2554).والترمذي في كتاب البر والصلة- باب ما جاء في قطيعة الرحم, في الحديث: (1913).

[2] (?) سورة الرعد آية (25) .

[3] (?) رواه الطبراني في الكبير عن أسامة بن زيد, والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث ضعيف .

إلى رَحَمِهِ مثلَ الذي أعطاه ((**ولكن الواصلَ الذي إذا قُطعَت رَحمُهُ وَصَلها**))[1] إذا قابلوه بالإساءة قابلَهم بالإحسان ، وهي مكارم من مكارم النبوة يقول عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((**أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية, والعدل في الرضا والغضب, والقصد في الغنى والفقر, وأن أعفوَ عمَّن ظلمني وأصِلَ مَن قطعني وأعطيَ من حرمني , وأن يكونَ صَمتي فِكرا ونُطقي ذكرا, ونَظَري عبرة**))[2] فما أعظمها من تسع خصالٍ أمرَ بها ذو الجلال نبيَّه محمدًا المصطفى مظهر الجمال والكمال .

اللهم أدِم صلواتك على عبدِك الذي حلَّيته بأشرفِ الخِلال واجعلنا اللهم مِن أهل الصلة .. وواصلنا واحفظنا من القطيعة ولا تقطع رجاءنا ، واجعلنا من الهداة المهتدين برحمتك يا أرحمَ الراحمين ..

---

1 (?) رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو في كتاب الأدب- باب:ليس الواصل بالمكافئ الحديث: (5645). والترمذي في أبواب البر والصلة- باب:ما جاء في صلة الرحم الحديث: (1973), وأبو داود في كتاب الزكاة- باب صلة الرحم الحديث: (1697).

2 (?) رواه ابن الأثير في جامع الأصول, وأورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى : خذ العفو ...

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ..
والحمد لله رب العالمين .

الدرس التاسع

الصدق في القول

الحمد لله أصدقِ القائلين, وصلى اللهُ وسلمَ على نبيِّه الصادقِ الأمين, وعلى آلهِ وصحبهِ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين, وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحمَ الراحمين .. وبعد :-

فإنَّ من أعظمِ أخلاقِ الإسلام التي بُعث لتتميمِها نبيُّ اللهِ خيرُ الأنام الصدق ، والصدق في القول وفي العمل وفي النيات وصفٌ من شأنه أن يُثبتَ الله به النفعَ لصاحبهِ بأعمالهِ يومَ القيامة قال الله تعالى﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾[1] ولنأخذ أولاً صدق القول والصدق في الحديث فهو أساس وله ارتباطٌ بالصدق في العمل والصدقِ في النية, الصدقُ في القول والحديث مراقبةٌ للحق تبارك وتعالى ومَلكةٌ عند الإنسان تدلُّ على إيمانه حتى قال بعضُ العارفين: ما رأيتُ تقوى أحدٍ في لسانه إلا ورأيتُ أثرَ ذلك على جميعِ أعضائِه وأحواله . وقد جاء في الخبر ((**أنه ما يصبحُ ابن آدم يومًا إلا وأعضاؤه تنادي اللسان تقول اتقِ الله فينا فإنما نحنُ بك إن استقمتَ استقمنا وإن اعوجَجت اعوَججنا**))[2] فهذا اللسان له شأنٌ كبيرٌ في

---

[1](?) سورة المائدة آية (119) .

[2] (?) رواه الترمذي في أبواب الزهد- باب: ما جاء في حفظ اللسان الحديث: (2518) وأحمد عن أبي سعيد الخدري , و السيوطي في الجامع الصغير وقال : حديث

الميزان, ولقد قال نبي الله لسيدنا معاذ ((**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناسَ في النار على مناخرهم أو قال على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتهم))**[1] وكان من أعظمِ جُرمِ اللسان: الكذب, والكذب هو الإخبارُ بغيرِ الواقع .. أن يتكلمَ بغير الواقع, فهو في الحديث العادي جُرم وإثم, فإذا ترتبَ عليه إضرار بمسلمٍ تضاعفَ الوزرُ وتضاعفَ الإثم والعقاب, فإذا كان شهادةَ زورٍ استحقَّ صاحبُها غضبَ الله تعالى ومقتَه وطردَه, حتى جاء وصحَّ في الأثر **((أنه لا يشهد أحدٌ شهادةً يزيد فيها كلمةً مِن غير الواقع إلا لم يرفع رجلَه إلا وهو في سخطِ الله))**[2] لم يرفع رجلَه من مكان الشهادة إلا وهو في سخط الله تعالى .

أثر الصدق على القلب :

ألا إنَّ لصدقِ القول والصدق في الحديث وتجنبِ الإنسانِ للكذب في أحواله أثراً كبيراً في تطهيرِ قلبِه وتنويرِ ضميره واستقامةِ حالِه, فعلى المؤمنِ أن يبذلَ همَّته في مراعاةِ كلامِه وأن لا ينطق إلا بالواقع وأن يتباعدَ عن الكذب تباعدًا,

---

صحيح .

[1] (?) أخرجه الإمام أحمد والترمذي في أبواب الإيمان- باب ما جاء في حرمة الصلاة الحديث: (274) وقال: حديث حسن صحيح , والنسائي وابن ماجه في كتاب الفتن- باب كف اللسان في الفتنة في الحديث: (3973) عن معاذ بن جبل .

[2] (?) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

فلقد سُئل نبيُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل يكذبُ المؤمن قال: لا ..[1] وتلا قولَ الله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[2] ولذلك جاء في سيرةِ الصحابةِ أنهم كانوا لا يتَّهمون بالكذب إلا منافقًا . أما المؤمن فلا يجوِّزون عليه الكذب بل يستبعدونه كل الاستبعاد .. ((**كل خصلةٍ يُطبع عليها المؤمن ليس الكذب والخيانة**))[3] قد يُطبَع على بعضِ خصالٍ ذميمة فمطلوبٌ أن يعالجَ نفسَه منها, لكن لا تستقر فيه وهو مؤمن طبيعة الكذب ولا الخيانة أبدا, لا يُطبَع على خصلةِ الكذب مؤمن ولا على خصلةِ الخيانة, بل إنما يكون ذلك في المنافقين .

<u>الاعتناء بتربية الأولاد على الصدق:</u>

لأجل ذلك وجبَ أن يعظِّم الناسُ شأنَ هذا الكذب وأن يهتدوا إلى الصدق في القول ويربُّوا على ذلك أبناءهم وأسرَهم, ولو أنَّ وليَّ أمرٍ خاطبَ أولادَه بالصدقِ وحثَّهم عليه, وحذَّرهم من الكذبِ ثم جاءه يومٌ مِن الأيامِ سائلٌ يسألُ عنه, فقال لأحدِ أولادِه: قل له هو غير موجود, أو ليس في البيت , أو خرج أو غير ذلك من الكذِبات لهدَم جميعَ ما كان يقوله ويبنيه في نفوسِ

---

[1] (2) رواه ابن عساكر عن عبدالله بن جراد , وابن عبدالبر في التمهيد .

[2] (?) سورة النحل آية (105) .

[3] (?) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة, وابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا , وابن عدي في مقدمة الكامل .

وعقولِ هؤلاء الأطفالِ والناشئة, لأن الفعلَ كذَّب القولِ وحينئذ يكون الكذبُ في العمل سبباً لأن يُذهبَ رونقَ الصدقِ في الحديث, فالصدقُ في الحديث أساسٌ لخُلقِ المسلم وفي حياته وفي انتهاجه في نهجِ الإتباعِ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم, وضرورةٌ لتخلُّصِه من آفةِ النفاق ومن سببِ الخزي وحصولِ اللعنةِ قال تعالى ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1] أعاذنا الله تعالى من الكذب وثَّبتنا على الصدقِ في القول ورزقنا الاحتياط في ذلك , فهو سِمة المؤمنين الصادقين المُصدِّقين بما بُعثَ به النبيُّ الأمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم , وهو الذي اشتهرَ بالصادقِ الأمين قبلَ أن يُبعث, فما جرَّبوا عليه كذبًا قط في حياته كلِّها حتى قالوا له حينما دعاهم إذ أمرَه الله تعالى بأن يصدعَ بالأمرِ فيهم ونزلَ قوله ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] أرأيتُم لو أخبرتُكم أن وراءَ هذا الجبلِ عيرًا مصبِّحتكم أو مُمَسيتُكم أكنتم مصدقيَّ؟ فقالوا جميعا: ما جرَّبنا عليك كذبًا قط, نحن نصدقك, فقال: إني نذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديد[3] ، والله إنكم لتموتونَ كما تنامون,

---

[1](?) سورة آل عمران آية (61) .

[2](?) سورة الحجر آية (94) .

[3](?) رواه البخاري في كتاب التفسير- باب: تفسير سورة: (تبت يدا أبي لهب وتب) الحديث: (4678), ومسلم في كتاب الإيمان- باب: وأنذر عشيرتك الأقربين الحديث: (208)

وتُبعَثون كما تستيقظون, وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا .

فيا أيها المؤمن ابذل همَّك ونظرَك إلى صدقِ القول, وربِّ نفسَك عليه وربِّ أولادَك على ذلك في سلوكِك وانتهاجِك منهج الصدق حتى تغرسَ في نفوسهم أنَّ من أفظعِ الفظائع في حياتهم أن يقولوا كلمةً كذبًا, وعلِّمهم أنهم إن رأوا النجاةَ في الكذب فإنَّ فيه الهلاك, ولا يكذبـ أحدٌ ليُنجي نفسَه إلا وَقعَ في ورطةٍ أكبر منها قريباً ولا يطولُ به ذلك غالبا .. فلأجل ذلك وجبَ على المؤمنِ أن يهتمَّ بأن يصدقَ في الحديث, فإنَّ فيه النجاةَ وإن رأى وتخيَّل أنَّ فيه هلكةً فإن الله يُنجي الصادقين سبحانه وتعالى, ولو حصل عليه تعبٌ أو ملامةٌ في حالٍ عوَّضه الله تبارك وتعالى بإصلاحِ أحوالٍ كثيرةٍ وأمورٍ خطيرة .. وفقنا الله للصدقِ ورزقنا التشبثَ به وطهَّرَ ألسنتَنا عن الكذب, وعما لا يرضيه يا ربَّ العالمين, جنِّبنا ما يوجِب أن ترمَى به الوجوه وتُقذفَ في النار, اللهم حققنا بالصدق واجعلنا من الصادقين ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

□□□

الدرس العاشر

الصدق في العمل

الحمد لله وليِّ التوفيقِ والهداية , وصلى الله وسلَّمَ على عبدِه ومصطفاه وخيرتِهِ من خلقه, سيدنا محمد المبعوثِ بالعناية , وعلى آله وأصحابه ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ لقاءِ المولى جل جلاله . أما بعد فقد سبق الكلام عن الصدقِ في الحديثِ والقول, وأنَّ ذلك مُهمٌّ في حياةِ المسلم وواجبٌ أن يربيَ عليه أهلَ بيته وأن يعلِّمهم أنَّ النجاةَ فيه, وأنه يقتدي في ذلك بنبيِ الله صلى الله عليه وآله وسلم, ويتخلص من آفةِ النفاق . ولا يزال يظهر أثر ذلك على بقيةِ أعضائه وبقيةِ معاملاتهِ في هذه الحياة, فيتصل صدقُه في القولِ بصدقه في العمل . بمعنى أنَّ الذي تحرَّى الصدقَ فيما يقول يترقَّى المراقي فيكون صادقًا في الفعل وفي النية حتى يصل إلى مراتبِ الصدِّيقيَّة, كما شهدَ الحديث الصحيح عن النبي محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**ولا يزال الرجلُ يصدق ويتحرى الصدقَ حتى**

يُكتبَ عند الله صِدِّيقا))[1] فيأتي الصدقُ في العمل ثمرة من ثمرات الصدق في القول .

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب- باب تفسير قوله الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الحديث: (5743) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله في الحديث: (2607). وأبو داود في كتب الأدب – باب التشديد في الكذب الحديث: (4983) والترمذي في كتاب أبواب البر والصلة- باب ما جاء في الصدق والكذب الحديث: (2038).

معنى الصدق في العمل:

والصدق في العمل أن يعملَ العملَ خالصًا لوجهِ ربه وأن يُحسِنَه ويتقنَه ويجتمعَ عليه بجميع قواه إذا عمل.. الصدقُ في العمل يقتضي إحسانَه ويقتضي أداءَه على وجهه, ويقتضي الإخلاصَ فيه فكما أنَّ الصدقَ يكونُ في الحديث فالصدق يكونُ في العمل كذلك . فكم من مُصلٍّ صادق وكم من مُصَلٍّ كاذبٍ في صلاته, والصوم يكون صاحبُه صادقًا ويكون صاحبُه كاذبًا في صيامه, فإذا صامَ ثم نظرَ نظرةَ الحرام وأخذ يُعمل نظرَه بالشهوة ونظرَه باحتقارِ المسلمين فهو كاذبٌ في الصوم وهو الذي أشار إليه المصطفى بقوله **((من لم يدع قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه))**[1] هذا مظهرٌ للصدق في العمل .

الصدق في العمل: أداؤه على وجهه بإحسانٍ وإخلاصِ القصدِ فيه لوجهِ اللهِ تبارك وتعالى, الصدق في العمل يرفعُ المؤمنَ إلى مراتبِ الصدِّيقية, فالصادقُ في فعل الصلاة يُحسنُ وضوءها ويحسن طهارتَها, إن كان عليه حدث

---

[1] (?) رواه البخاري كتاب الصوم- باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم الحديث: (180) عن أبي هريرة. والترمذي في أبواب الصوم- باب: ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم الحديث: (702), وابن ماجه في كتاب الصيام- باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم الحديث: (1689)

أصغر أدَّى الوضوءَ على وجهه فلم يُبقِ لُمعةً في شيء من جوانبِ وجهه يقصر عنها الماء وعن الوصول إليها, ويتفقَّد المعاطفَ عند وضوئه وما يغفلُ عنه الماء كالماقين واللّحاظَين وما تحت الأنف كذلك لا يُبقي لمعةً من عند طرفِ الأصابع إلى المرفقين فإن كان تحت أظفاره وسخٌ أزاله, وكذلك ينتبه مِن غسل القدمين وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضَ الأعقاب وهو مُؤخَّر الرجل لم يصِل إليه أثرُ الماء عند وضوء الصحابة في بعض الأسفار, فنادى بأعلى صوته ((**ويلٌ للأعقاب من النار**))[1] فإحسان الوضوء من الصدق في الصلاة ، ومن الصدق في الصلاة أداؤها في وقتها والحرص على السنن والآداب فيها وعلى الجماعة فيها, وأن يتكلَّف حضورَ قلبه مِن أولها إلى آخرها وأن يتهيأ أن لا ينطق بـ الله أكبر إلا وهو مستقِر في قلبه أن لا كبيرَ إلا الله فيتَناسى كلَّ صغير أمام عظمةِ العلي الكبير الذي يقفُ بين يديه, فإن قال وجهتُ وجهي للذي فطرَ السموات والأرض فيقول ذلك وهو مُتوجِّهٌ بقلبهِ إلى الله حتى لا يكذبَ فيما يقول وجَّهت وجهي للذي فطر السموات - أي خلق السموات - والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين, وهكذا لا يزال صادقاً في صلاته إذا ركع أحسن

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب العلم- باب من رفع صوته بالعلم الحديث: (60) ومسلم في كتاب الطهارة- باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما الحديث: (240) وابن ماجه في الحديث: (45) عن ابن عمرو وأبي هريرة وعائشة.

الركوع وأطمأنَّ راكعا, وإذا اعتدل استوى قائمًا واطمأن قائما, وإذا سجدَ أحسنَ السجود ووضعَ الأعضاءَ السبعة على الأرض ((**أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظم**))[1] وسبقَ قلبُه جسدَه في السجود لله تعالى والتذلل لعظمته, وهكذا لا يزال يصلي بعيداً عن الإلتفاتات والعبث فهو خلسة وسرقة يسرقها الشيطانُ من صلاة العبد, وفي الحديث: ((**إذا قام الرجل في الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فإذا التفت قال: يا ابن آدم إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير مني؟ أقبِل إلي . فإذا التفت الثانية قال مثل ذلك ، فإذا التفت الثالثة صرف الله تبارك وتعالى وجهه عنه**)) [2] .

فينبغي أن يكونَ مُتحليًا بالخشوع في صلاته وهذا هو الصدق في الصلاة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[3] هذا مثال للصدق في الصلاة, كذلك يلازم الصدقُ كلَّ عملٍ من أعمالك حتى في بيعِك وشرائك وأخذِك وعطائك ومعاملتك لأهلِك إلى غير ذلك من أعمالك, فالصدقُ فيها أن

---

1 (?) رواه البخاري في كتب صفة الصلاة- باب السجود على سبعة أعظم الحديث: (777), ومسلم في كتاب الصلاة - باب أعضاء السجود الحديث: (227) وأبو داود الحديث: (97) والنسائي الحديث: (1090) وابن ماجهْ الحديث: (883) عن ابن عباس.

2 (?) رواه البزار عن جابر , وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وقد أجمعوا على ضعفه .

3 (?) سورة المؤمنون الآيات (1-2) .

تُحسِنَها وتُؤدِّيها على وجهها وتُخلِص القصدَ فيها لوجهِ الله تعالى .. رزقنا الله الصدقَ في أقوالنا وأفعالنا ونياتنا ومقاصدنا حتى يُلحَقنا بالصديقين إنه أكرم الأكرمين . اللهم اجعلنا من الصادقين واجعلنا اللهم في الصديقين وثبتنا على ما تحب وترضى منا في القول والفعل والنية يا أكرم الأكرمين ..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين .



الدرس الحادي عشر

صدق النية والمقصد

الحمد لله أهل الحمد, وصلاتُه وسلامُه على حبيبِه أكرمِ عبد, سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن سارَ على منهجه إلى يوم الدين, وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين, أما بعد فقد سبقَ الحديث عن صدق القول والصدق في العمل.. وقلنا إنَّ الصدقَ كما أنه يتناولُ القولَ والحديثَ, وهو أساسٌ في اتساع معنى الصدق فكذلك يتناولُ الأعمالَ ويتناول النوايا والمقاصد عند المؤمنين, وذكرنا تناولَه للأعمال بأن يكونَ العملُ قائمًا على وجهه وِفقَ الشريعة المطهرة يستنفذ صاحبُه فيه وسعَه في إحسانه وإتقانه , وأشرنا إلى مسألة الإخلاص فيه لوجه الله الكريم .. وهو صدق النية والمقصد, فالصدق في الأقوال الذي يتبعه تحقيق الصدق في الأفعال يُفضِي إلى تحقيقِ الصدقِ في النيةِ والمقصد .. وهذا محلُّ اصطِفاءٍ من الواحد الأحد يصطفي أصحابَه , وقد أثنى عليهم في كتابه ورفعَ شأنَهم جل جلاله فيما جاءنا من بيانه وخطابه , شأن الصادقين الذين أمرَ المؤمنين أن يكونوا معهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1]

مظاهر الصدق في النية:

---

[1](?) سورة التوبة آية (119) .

الصدق في النية: إخلاصُها لوجهِ الله الكريم , الصدقُ في النية أن يخلصَ العاملُ في عملِهِ في قصدِه فيكون قصدُه صحيحًا فيما يبدو مِن عمله وفيما يبدو من قوله كذلك.. فقد يتكلم بكلامٍ حسنٍ جميل ويكون المقصدُ فيه غير حسنٍ أو غير جميلٍ أو تكون السريرةُ منطويةً على خِلافِ ما تُبدي اللسان , فحينئذٍ لا ينفع صدقُ القول مع كذب النية وعدم الصدق فيها , بمعنى قد يثني على من يستحق الثناء من المؤمنين ولكنه يطوي في قلبه بغضًا له أو سوءً وإنما اضطره إلى مدحه شيءٌ من المقاصد ومن الأغراض ..فهذا هو فساد المقاصد والنوايا وكذبها فهو إذًا يبدي خلافَ ما يُبطن فحينئذٍ يكون القصدُ مخالفاً للقول , وكذلك قد يكون مخالفًا للعمل فيما يُظهر من الإكرام, أو فيما يُظهر من الاحترام لمن حواليه , فالمطلوب من المؤمن الصدق الذي يعمُّ أحوالَه ويتابعُه في شؤونه حتى يدخلَ دائرتَه التي ترفعه إلى مراتب الصدِّيقين.. يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ((**ولا يزال الرجل يصدقُ ويتحرى الصدقَ حتى يكتبَ عند الله صدِّيقا))**[1]

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب- باب تفسير قوله الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الحديث: (5743) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله في الحديث: (2607), وأبو داود في كتب الأدب – باب التشديد في الكذب الحديث: (4983) والترمذي في كتاب أبواب البر والصلة- باب ما جاء في الصدق والكذب الحديث: (

ومن هنا كان بعضُ أهل المعرفة من أهل الدين إذا كَلَّم وخاطبَ أولادَه الصغار في البيت فأراد أن يُسِرَّ قلوبَهم أو يُفرحَهم فإنه يأتي لهم بشيء يشتريه لهم من الألعاب أو غيرها, لا يقول له سأشتري لك كذا وسآتي لك بكذا, ولكن يقول كيف ترى لو جئت لك بكذا , وكيف ترى لو أحضرتُ لك كذا, خشيةَ أن يصدرَ منه القول سآتي بكذا أو كذا ثم يتخلَّفُ العملُ عنه فيكون القصدُ وقتَ الكلامِ غيرَ مطابقٍ للكلام, فلأجلِ هذا تحرَّز عن ذلك وصار يتَّقي الحقَّ تعالى ويتورَّع في إيرادِهِ الكلام مع أطفاله وأهلِ بيته الصغار فضلاً عمَّن سواهم .. هذا مظهر الصدق .

مظهرُ الصدقِ في النية والقصدِ من شأنه إقامةُ الصدقِ في القولِ وفي الفعلِ على وجههِ, كما أنَّ الصدقَ في القول سُلَّمٌ إلى الصدقِ في الفعل, والصدقُ في الفعلِ سلَّمٌ إلى الصدقِ في النيةِ والمقصد, إلا أنَّ النيةَ والمقصدَ ينعطفُ صدقُهما على الأقوالِ كلِّها وعلى الأفعالِ كلِّها فتُقيمهما على وجههما الأمثلِ, فالقول والفعل يستقيمان على الوجه الأمثل في الصدق إذا استقامت النية مع الله تبارك وتعالى, وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سُئلَ عن الرجل يقاتل شجاعةً والرجل يقاتل حميةً والرجل يقاتل كي يُرى مكانه .. أيهم في سبيل الله ؟ فأجاب أنَّ صاحبَ صدقِ النية هو في سبيل الله بقوله ((

(2038

مَن قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله))[1] فحينئذٍ ينبغي لكلِّ مؤمنٍ ويتأكدُ عليه أن يتطلَّبَ معانيَ الصدق وتحقيقَها في أقوالِه وفي أفعالِه وفي أحواله ؛ وما شأن الذي يمر به العمرُ لا يبالي بِخَلسةِ الكذبةِ منه في القول ثم في الفعل إلا شأن الغافل عن ربه , إلا شأن الذي لا يبالي بصلاحِ قلبه, إلا شأن الذي لا يستعدُّ لآخرته , فينبغي أن يرفعَ المؤمنُ نفسَه عن هذا المستوى .

وإلى الصـــدقِ في الفعلِ والصـــدقِ في النيـــةِ والمقصَـد يشـيرُ قـولُ الحقِّ تبـارك وتعـالى عن المهاجرين الذين هاجروا مع نبينا محمدٍ صلى الله عليه وآله وصـحبه وسـلم بقوله ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾[2] فهجــــــرتهم وذهـــــابهم وسعيُهم هذا صـدقٌ في الفعـل قـال ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ وهذا هو صـدقُ النية وصـدقُ المقصد ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ شـَهد لهم الحقُّ تعـالى بالصـدقِ عليهم رضـوان الله, وقد خُوطِبنا أن نكــونَ مع الصـــادقين, وفي هـذا بيـانٌ للأمة في احـترامِ الصـحابة الكـرام مِن المهاجرين ومِن الأنصار الذين صـدقوا ما عاهـدوا

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب العلم- باب: من سأل وهو قائم عالما جالسا الحديث: (123), ومسلم في كتاب الإمارة- باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا الحديث: (1904) عن أبي موسى الأشعري.

2 (?) سورة الحشر آية (8) .

الله عليه كما قـــال جل جلاله في كتابه, قد أمرنا أن نكونَ مع الصادقين, ويـبينُ هـذا المعـنى قـولُ الله تبــارك وتعــالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنْهُمْ ﴾[1] يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ ﴾[2] فــــأثبتَ الإتباع للمهـاجرين وللأنصـار مع النـبي صـلى الله عليه وآله وصـحبه وسـلم, ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ فالله يرزقنا كمالَ الصدق واتبـاع الصـــادقين والـــدخول في دوائـــرهم إنه أكـــرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

ألا أيها المؤمن تنبه .. ألا أيها المؤمن تفطَّن .. ألا أيها المؤمن توجَّه في إقامة الصدقِ على وجهه في أقوالك وفي أفعالك وفي مقاصدك ونياتك .. حتى تدخلَ دوائرَ الصادقين الذين يرفعُ مراتبَهم ربُّ العالمين جل جلاله .

اللهم اجعل مستقرَّ حقائقِ الصدقِ قلوبَنا ومستقر أربابِ الصدقِ ديارَنا حتى تكونَ بيوتُنا ومنازلُنا وتكون محافلُنا وتكون أسَرُنا محطًّا للصدق , وصفة الصدق بارزة فيها على الوجه الذي تحبه يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[1](?) سورة التوبة آية (117) .
[2](?) سورة التوبة آية (100) .

والحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑

الدرس الثاني عشر

الرحمة

الحمد للهِ أبلغ الحمد وأتمَّه على كلِّ حال , وصلى الله وسلمَ على نبيه المصطفى محمدٍ وآله وصحبه خيرِ صحبٍ وآل, ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم المآل .

أما بعد: فإنه ما تزالُ أخلاقُ الإسلام بالمسلم تصفِّيه وتُنقِّيه وتطهِّره وترفعُ مرتبتَه حتى يَتَهيَّأ لِمرافقَة النبي المصطفى أحسن الناس خَلقا وخُلُقا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ولقد جاءنا في حديثه الصحيح ((**إن من أحبِّكم إليَّ وأقرَبِكم مني مَجلساً يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقاً**))[1] **وفي رواية ((أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا الموطؤون أكنافا))**[2] ((**إنَّ من خياركم أحاسنُكم أخلاقاً**))[3] ، ولا تزال أخلاق الإسلام بالمسلم ترفع مرتبتَه ، ترفع مقامه ، ترفع منـزلته ، تُعلي مكانتَه ، تُطهِّره وتصفِّيه حتى يتهيأ للدرجات العلى, والقرب من

---

1 (?) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة- باب:ما جاء في معالي الأخلاق الحديث: (2087) وقال: حديث حسن غريب , ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

2 (?) رواه الطبراني عن أبي هريرة .

3 (?) رواه البخاري في كتاب الأدب- باب: حسن الخلق الحديث: (5688), ومسلم في كتاب الفضائل- باب: حيائه صلى الله عليه وسلم, والإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو.

الحق تبارك وتعالى وخير الملأ .. ألا فليحرص المؤمن عليها فإنَّ الأخلاقَ الفاضلة مرتبطٌ بعضها ببعض, وقد سبق الحديث عن جملةٍ من الأخلاق النبوية الكريمة الفاضلة التي دعانا إليها دينُ الله تبارك وتعالى على لسانِ الرسول المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وسلم وبعضها يقوِّي بعضا, وبعضها يثمر بعضا ويرسخ المعنى في نفس المؤمن وقلب المؤمن وحياة المؤمن . وقد سبق الكلام عن معاني الصدق ووجود الأثر فيه ، وإنَّ مِن مظاهر ذلك الصدقِ انطواءُ القلبِ على الرحمة التي تُورث الملاطفةَ في القول واللطفَ في المعاملة .

الرحمة وصفٌ في القلب إذا انبعثَ فيه حملَ صاحبَه على الرقَّة وحلاَّه بالرأفة فأخذَ يشقُّ عليه ما يشقُّ على المسلم ، ويُفرحه ما يُفرح المسلمِ ، ويُحزنه ما يُحزن المسلم ، ويصبح بذلك حريصاً على نفع المسلمين وعلى خدمة المسلمين وعلى أداء حقوق المسلمين وعلى السعي في مصالح المسلمين ، خُلق الرحمة الخلق الذي وصف الله به نبيَّه المصطفى صلى الله عليه وسلم في كتابه ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

وقال عن رسالته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2] وهو

[1](?) سورة التوبة آية (128) .

[2](?) سورة الأنبياء آية (107) .

القائل صلى الله عليه وسلم **((الراحمون يرحمهُم الرحمنُ تبارك وتعالى))**[3] .

إذا أُودِعت الرحمةُ قلبًا اقتضت معانٍ من الملاطفة, معانٍ من اللطف, معانٍ من الإحسان, معانٍ من الحرص, معانٍ من الشفقة .. أعني الحرصَ على منفعةِ الخلق وخدمةِ الناس بما قدرَ عليه .. فما أعظمَ أخلاق هذا الدين ، اللهم حلِّنا بها وحققنا بحقائقها برحمتك يا أرحم الراحمين .

آثار خلق الرحمة:

خلقُ الرحمة إذا تمكَّن في القلب ظهـرت آثـارُ الملاطفة في الفعل والقـــــول, فتجد الـــــرحيمَ ملاطفاً لمن حواليه ، هيِّناً ليِّناً سهلاً يحـرص على منفعة الغير وعلى مصلحته أكـثر من حرصه على مصــلحته هو الشخصــية ومنفعته هو الذاتيــة لما أُودِع قلبُــه من الرحمة ، فيتــوفر حظُّه من رحمة الرحمن جل جلاله لأنَّ الجــزاءَ من جِنس العمل . فمن رَحم عبــــادَ الله من أجل الله رَحِمَـــــه الله تبارك وتعالى . فعلى المؤمن أن يتفقّد نفسَه في خُلق الرحمة والثبــــات عليها, ورحمته بالصــــغير والكبير وخصوصاً أهل الضَّـعف وأهل الفقر وأهل المســـكنة وأهل العاهــــات وأهل النَّكبــــات من

[3] (?) رواه الإمام أحمد في مسنده, والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود في كتاب الأدب- باب الرحمة الحديث: (4941) والترمذي في أبواب البر والصلة- باب ما جاء في رحمة الناس الحديث: (1989) عن ابن عمر , وقال : حديث حسن صحيح .

المسلمين ومن المؤمنين . وفي الحديث ((**ثلاثٌ من كنَّ فيه فقد وُقي شـُحَّ نفسـه: من أدى الزكاة ، وقـرى الضـيف، وأعطى في النائبة**))[1] . إعطاؤه في النائبة إذا نـابت نائبـة: إنبعـاثٌ من الرحمة إذا نـابت مسـلماً نائبةٌ من النوائب انبعث ليساهمَ ويساعدَ في المواساة في النائبة وتخفيف ثِقلها ، فوصفُ الرحمة خُلقٌ من أخلاقِ الإسلام جـاء به النـبي صـلى الله عليه وآله وسـلم فعلّمنا حقائقَه ومعانيه فقد وصف الله أصحابَ النبي بالرحماء فقـال ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾[2] ورفع الحقُّ تعـالى شـأنَ وصفِهم هذا من الرحمةِ إلى بلـوغ مـراتبِ الإيثـار فقـال تعـالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3] هـذه شـهادةٌ عُظمى من الـرب لسـادتنا الأنصـار وهم القبيلتـان اليمانيتـان اللتـان هاجرَتا إلى المدينة المنوَّرة فتَلقَّيَتا رسـولَ الله هنـاك بعد أن استَوطنتا طيبةَ الطيبة الـتي طـابت برسـول الله, الذين سبقوا إلى الإيمـان به وقـاموا بحقِّ نصـرته عليهم رضوان الله, شَهد الله تعـالى لهم بـالفلاح،

[1] (?) رواه الطبراني في الكبير عن خالد بن زيد بن حارثه. والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الزكاة- باب فيمن أدى الزكاة وقرى الضيف الحديث: (2364), وقال في الإصابة: إسناده حسن .

[2] (?) سورة الفتح آية (29) .

[3] (?) سورة الحشر آية (9) .

وهو الفــوز في الــدنيا والآخــرة وأثــنى عليهم في كتابه وذكر وصفَ الإيثـــار الـــذي هو نتيجة قـــوة الرحمة وتَمكُّنها من القلب ومن الفـــــؤاد عليهم رضوان الله .

تعدد مظاهر الرحمة في الشريعة:

جاءت الشريعةُ بالرحمة للصغير والكبير ، جاءت الشريعة بالرحمة حتى للحيوانات, جاءت الشريعة بالرحمة لكل ذي كبدٍ رطبة [1]وجعل الأجرَ في مواساتها إلى حدودٍ أن ذكرت لنا الشريعةُ أن امرأةً كانت من بني إسرائيل بَغِي, ولكنها رحِمَت كلباً من الكلاب في يوم من الأيام وترجمت الرحمةَ بِعمَلٍ صدقت فيه, فَرَحِمَها الله وغفر لها وسامحها وتابَ عليها ووفَّقها لحسن التوبة, يقول عنها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كما جاءنا في الصحيحين: أنها اشتدَّ بها العطش فلم تجد إلا بئراً ليس عليها دلو ولا رشا فخرجت ثم طلعت فإذا بكلبٍ يلهثُ حوالي البئر فأخذ يضع لسانَه في الندوة, فقالت والله أصاب هذا الكلب من العطش مثل الذي أصابني فرجعت إلى البئر مرة أخرى وأخرجت خفَّها من رجلها فملأته بالماء ووضعتهُ في فيها وأمسكته به حتى ارتفعت وسقت ذلك الكلب فغفر الله تبارك

[1] (?) كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم (**في كل كبد رطبة أجر**) رواه البخاري كتاب المساقاة- باب فضل سقي الماء الحديث: (223) ومسلم في كتاب السلام- باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها الحديث: (2244) عن أبي هريرة.

وتعالى لها [1] .. وقد جاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى في بيته هرةً دنَت من إناءٍ فيه ماء قليل تريد أن تشرب فبَعُدَ عليها الماء فجاء بنفسه فأصغى لها الإناء وقرَّب الماءَ من فمِها حتى تشرب, فلما نظر ذلك بعضُ أصحابه قال يا رسولَ الله تصنع أنت هذا في هذه قال ((**إنها ليست بنجس إنها من الطوَّافين عليكم**)) [2] أي إنها تقوم ببعض الخدمة في البيت ، فما أعظمَ رحمته وشفقته .! وامتلأت سيرته بذلك وبملاطفاته بالصغير والكبير عليه الصلاة والسلام حتى لما رآه الأقرع بن حابس وهو يقبِّل بعض الأطفال قال يا رسول الله إن لي من الولد عشرة ما قبلت أحداً منهم قال ((**أو أملكُ لك أن نزعَ الله مِن قلبِك الرحمة**))[3] ولا تُنـزَع الرحمةُ إلا من شقي .. فصلى الله على المبعوث بالرحمة وخلَّقنا الله بِخُلُق الرحمة .. أسأل اللهَ

---

1 (?) أصل هذا القصة في البخاري في كتاب بدء الخلق- باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه الحديث: (3143), ومسلم في كتاب السلام- باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها الحديث: (2245) .

2 (?) رواه أبو داود في كتاب الطهارة باب- سؤر الهرة الحديث: (75) والترمذي في كتاب الطهارة باب- ما جاء في سؤر الهرة الحديث: (92) وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي قتادة والبيهقي عن عائشة.

3 (?) واه البخاري في كتاب الأدب- باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته الحديث: (5651), ومسلم في كتاب الفضائل – باب رحمته صلى الله عليه وسلم للصبيان والعيال الحديث: (2317).

أن يوفّر حظَّنا من الرحمة إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑

الدرس الثالث عشر

إدخال السرور على قلوب المسلمين

الحمدُ للهِ الرحيمِ الرحمن , ذي الجودِ والامتنان , وصلى الله وسلم على المصطفى من عدنان , وآله وأصحابه ومن سار على منهجهم من أهل الإحسان إلى يوم وضعِ الميزان وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فإن أخلاقَ الإسـلام تأخذُ بالمسـلم نحو الجادَّة في الاسـتقامة حـتى يتهيأ لأعظمِ كرامةٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[1] تحـــدثنا ســـابقًا عن بعض معـــاني الرحمة الـــتي لا يتَّسع لمعانيها أوقاتٌ يسـيرة ولا دروسٌ معـدودة, ولكن الإشـــارةَ إلى عظيمِ تلك الأخلاق والإلتفـــاتِ نحو عظَمتِها يكفي المؤمن بأن يتشبَّث بحبل الاتِّصاف بها ويحرص عليها وحينئذ يُكرم بما يقابله به الحقّ تعالى من أثرِ الإقبال منه على الله عز وجل .

من ثمار الرحمة إدخال السرور على القلوب:

إذا انبعثت الرحمةُ في قلب المؤمن أثمرت **الحرصَ على إدخال السرور على القلوب** فتجدُ المسلم حريصًا في أحواله المختلفة على أن يسرَّ قلبَ مَن حَواليه ويتسابق إلى إدخال السرور على المسلمين رجاءَ أن يَسُرَّه بارئه

[1](?) سورة فصلت آية (30) .

وخالقه في حياته وعند مماته وبعد مماته, وقد جاءنا في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**مِن لقيَ أخاه المسلم بما يحب الله ليسرَّه بذلك ، سرَّه الله عز وجل يوم القيامة**))[1] وفي بعض الآثار ((**ما مِن مؤمنٍ أدخلَ على مؤمنٍ سرورًا إلا خلقَ اللهُ من ذلك السرورِ ملكًا يعبد اللهَ ويمجِّده ويوحِّده, فإذا صار المؤمنُ في لحدهِ جاء السرورُ الذي أدخلَه عليه فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان أنا اليوم أونسُ وحشتَك وألقِّنك حجَّتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد بك مشهدَ القيامة وأشفع لك عند ربك وأريكَ منـزلَك من الجنة**))[2] ..

فالحرص على مَسرَّةِ خواطِر المسلمين وجبر خواطرهم وإدخال الفرح عليهم خُلقٌ من أخلاق الإسلام جاء به المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله فكان مثالاً أعلى في ذلك, يظن جليسُه أنه أكرمُ الخلق عليه[3] لِمَا يرى من ملاطفته ومؤانسته وحسن إدخاله السرور على قلب من حواليه صلى الله وسلم وبارك عليه

---

[1](?) رواه الطبراني في الصغير عن أنس بن مالك وإسناده حسن.

[2](?) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج . ((التأكد من رفعه؟؟؟؟))

[3](?) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث سيدنا علي.

وعلى آله ، امتلأت سيرتُه الشريفة بأخبارِ تلك الملاطفات وتلك المؤانسات منه عليه الصلاة والسلام فعلَّمَ أصحابَه كيف يُدخِلون السرورَ ويحرصون على ذلك في قلوب من حواليهم من المؤمنين ومن المسلمين حتى جاء في الحديث أنه قال لأبي هريرة ((**لأن تمشي في حاجةِ مسلمٍ فتقضيها خيرٌ من أن تعتكفَ في مسجدي هذا عشرَ سنين**))[1] خيرٌ من أن تعتكف في مسجدِ رسول الله عشرَ سنين إدخالُك السرور على قلبٍ مسلمٍ بالسعي في قضاءِ حاجته, ومن هنا تقرَّب المتقربون إلى الله من خيار المسلمين في الأوقات المختلفة بقضاء حوائجِ المسلمين وإدخال السرور على قلوبهم على وجه الصدق بمعناه, إذا تكلموا معهم تكلموا بما يُدخلُ السرورَ عليهم, وقلوبُهم ملآنة بما قالوا فلا تزال نواياهم خيراً من أعمالهم كما جاء في الحديث ((**نية المؤمن خيرٌ من عمله**))[2] قد يعمل المنافقُ عملاً ولكن نيتَه سيئة ولو كان العملُ سيئًا كانت النية أسوأ, ويعمل المؤمن عملاً فتكون نيتُه أحسنَ ولو كان العمل حسنًا فنيَّته أحسن من هذا العمل لأنه يَوَدُّ أنه عملَ أكثر وأنه أدَّى أوفر ولكن الذي في وسعِه بذَله, فهذا شأن الصدقِ في الرحمةِ المُتفرِّع عنه الحرصُ على إدخال السرور على قلوب من يُجالسنا ومن

---

[1] (?) رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس وصححه.

[2] (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس , والطبراني في الكبير من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان، وكلاهما ضعيف.

يتحدث معنا, لأجل هذا جاء خبر الأهل في الحديث وقال ((**خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيرُكم لأهلي**))[1] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم, فكان المثالَ الأعظم في إدخال هذا السرور على قلوب المسلمين والمؤمنين, وكان صاحبَ الخلقِ الكريم في بيته وفي منـزله وفي معاشرته عليه الصلاة والسلام يتّسع بالُه ومجاله لكل ما يُلاقي أمامَه ولكل مَن يقابله ولكل من يجالسه ويحدِّثه , فكان مع نوره الشريف مَن لقيَه بديهَةً - رآه بديهة أي لأول مرة – هابَه، ومن خالَطَه وجالَسَه أحبَّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم, فيظنُّ جليسُه أنه أكرمُ الناس عليه من حُسنِ ملاطفته وإدخاله المسرة على قلب مَن حواليه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

فليحرص المؤمنُ على إدخالِ السرورِ على قلوبِ الناس, وخصوصا المستضعَفين والكبار في السن والمرضى, فإن ذلك من أعظمِ الأعمال عند الله تعالى وأرفعِها في الدرجة, فلا يفوت المسلم هذا الخلق الكريم الذي دعاه إليه نبيه العظيم ..

---

1 (?) رواه ابن ماجه عن ابن عباس في كتاب النكاح- باب حسن معاشرة النساء الحديث: (197) . والترمذي في أبواب المناقب- باب ما جاء في فضائل رسول الله الحديث: (3985) وابن حبان في صحيحه الحديث: (4177) عن عائشة وقال : حديث حسن صحيح .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ,

والحمد لله رب العالمين.

□ □ □

الدرس الرابع عشر

بر الوالدين

الحمد لله, وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ وآله وصحبهِ ومن اهتدى بهداه, وجعلنا الله ممَّن يهتدي بذلك الهدى, ويسلمُ من جميعِ أنواعِ الفتنِ والزيغِ والردى, إنه أكرمُ الأكرمين وأرحم الراحمين .

أما بعد: فإنَّ أخلاقَ هذا الإسلامِ العظيم لا تزال أنوارُها تملأ جوانحَ المسلمِ المستقيمِ, ولا تزال تنوِّر مجالاتِ حياته بِنُورِ اللهِ العظيم, حتى يهدأ له البال, ويتَّسعَ في الاستقرارِ له المجال .. وإنَّ مما جاء عن الكبيرِ المتعال من هذه الأخلاقِ الفاضلة بر الوالدين وهو أمرٌ عظَّمت الشريعةُ شأنه, ورفعَ القرآنُ مكانَه, وتولَّى الحقُّ بنفسه بيانَه .. وهو أمرٌ تقومُ به الحياة على وجهها الجميل, في معرفةِ المعروفِ والجميل, بمعنى أنَّ أكثرَ أممِ الكفر التي لم تدخل في الشريعة لا تعرف للوالدين حقًّا إذا كبِرا وإذا ضَعفا, وإنَّ الكثيرَ منهم مَن يذهبُ بأبيه أو أمه إلى أماكنِ الدولة ليكونَ مع العجَزَة ومع الذين ترعَى دُوَلُهم بعضَ مصالحهم, فيُخرِجُه من بيتِه ويذهبُ به إلى بيتِ الضعَفةِ والعجَزة فيضَعه هناك .. حالهُم مع الآباء هكذا, وانعكس ذلك أيضًا على الحالِ مع الأبناء .. فكم مِن أولئك الكفار إذا كبرَ ابنُه .. قال: الغرفة التي تسكنُ فيها في بيتي إما أن تدفعَ إيجاراً

عليها, أو تخرج لأسَكِّنَ غيرَك فيها وأجرَتها عليه! هذا الذي يعيشونه اليوم وهذا الحال الذي يعايشونه اليوم في كثيرٍ من دولهم, بينما تأخذُ بهرجةُ المظاهرِ والزخارفِ عقولَ بعضِ المسلمين فلا يَتصوَّر هذا عن واقعِهم في بلدانهم التي يَصِفُونها بالتقدم مثلا .. حقيقةُ التقدم في تعاليم المؤخِّرِ المقدِّم جل جلاله الذي هو أعلمُ بمصالحِ عبادِه وأعلم بما يرفعُ شأنَ خلقِه, فجاءت الشريعة بمثلِ هذا على أنَّ كثيرًا من الأمم تحملُهم طبيعتُهم وفِطرتُهم على معرفةِ شيءٍ من حقِّ الوالد أو الوالدة, ولكن بالاتصال بالإيمانِ وشرعِ الله تعظمُ المنـزلة وتأخذ مجالاً غيرَ مجالِها الطبيعي بل مجالٌ مع الفطرةِ مستقيم .. بسرٍّ لتعظيمٍ وتكريم .. شرعَه الذي خلقَ جل جلاله وتعالت عظمته, وعند ضياعِ حقائقِ الإيمان وحُسنِ التربية يفوتُ هذا الخُلق فتحصل الشكوى من عقوقِ الأبناء والبنات وخروجِهم عن الطاعة, وما كل ذلك إلا لأنهم لم يستَقوا شرابَ الإيمان ولم تَحِل في قلوبِهم حقائقُ الإعظامِ للرحمن جل جلاله, فانعكس على هذا أنهم لم يُعظِّموا الآباء .. لأنَّ مَن عظَّم اللهَ عرفَ أنَّ اللهَ العظيمَ أمرَه بتعظيمِ أبيه وتعظيمِ أمه وبالإحسانِ إليهما كما جاءنا في القرآن بقضى أي بحكمٍ من الله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] ثم نصَّ الحقُّ على مرحلةِ الكِبَر

---

[1](?) سورة الإسراء آية (23) .

.. خصصَ هذه المرحلة بعنايةٍ منه في هذه الآيات, وهذا الذي منه المعاناةُ الكثير اليوم في خارج نطاق المسلمين وفي الضائعين من المسلمين مع آبائهم ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ لا تنطق بكلمةٍ تضجُّر قط, كبير ثقيل .. صَعب مشيُه .. صعب قيامه .. قد يعجز عن القيام؛ يحتاج إلى أن تأخذَ وسخَه من تحته، وأن تقدِّم له الطعامَ بنفسك وبيدك .. لا تقل أف, فقد طالما نظَّفوك من أوساخِك وصفَّوك عن أقذارك في صِغرك ، وربَّوك حتى إذا مرضتَ كأنَّ المرضَ فيهم دونك, وإذا سهرتَ طارَ النومُ من عيونهم لأجلك ، فقل ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1] قال تعالى ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[2] في حالة ضَعفِهما في حالة عجزِهما إذا قالا أتعبتُك يا ولدي ، قل القولَ الكريم .. قل يا أبي هذه سعادتي وهذا عزِّي وهذه كرامتي أن أخدُمَك ، ويا أمي الجنةُ تحتَ قدمِك وأنا مهما تذلَّلتُ لكِ وجعلتُ رأسي تحتَ قدمك فَلِي العزةُ ولي الشرف ولي جنةُ الله تعالى ، فلا يسمعونَ منك إلا القولَ الكريم ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ فوق ذلك قال ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[3] تدعو لهما مع

---

[1] (?) سورة الإسراء آية (24) .
[2] (?) سور الإسراء آية (23) .
[3] (?) سورة الإسراء آية (24) .

هذه الأخلاقِ كلها معهم أنت لا تكتفي بهذا بل تتوجَّه إلى الله أن يجازيَهم عنك إذ ربَّوك وكبَّروك وقد كنتَ صغيراً ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ .

لذلك لما لقي ابنُ عمرَ حاجًّا من اليمن حملَ أمَّه على ظهرِه فسارَ بها من اليمنِ حتى طافَ بها وسعى بها وأوقفها بعرفة, وكان يتولَّى شأنَها وتنظيفَها وتوضئتَها وتغسيلَها وجميعَ حاجاتِها, فلقيَه وهو يطوف بها فقال يا ابنَ عمرِ إني عملت مع أمي هذه كذا وكذا أتراني أدَّيتُ حقَّها الذي علَي؟ قال ولا كل الذي عملتَ بزفرةٍ من زفراتِها حين ولدَت بك[1] ، قال هذا لا يساوي زفرةً من زفراتِها حين الولادةِ بك لو عقَلت الأمر.

---

[1](?) رواه البزار في مسنده .

عظمة منهج الإسلام في تقويم المجتمع:

فما أعظمَ حقِّ الوالدين في هذه الشريعة, وما أعظمَ تقويمِ منهج الإسلام لمجتمعاتِ المسلمين .. يعيش المجتمع ليس مجرد متكافل. بل متكامل. متفاضل يجنِي بعضُه خيرَ البعض بقسطٍ وعدلٍ وبهاءٍ وأُنسٍ وراحةٍ وفرحٍ وسرور, فإن كنت طفلاً صغيرًا فهناك أخلاقٌ في الإسلام تعلِّم الكبارَ كيف يربُّون الصغير, وإذا كنت شابًّا قويًّا فهناك أخلاقٌ لك وأخلاقٌ لمن دونك ولمن فوقك يتخلَّقون بها معك, وإذا صِرتَ إلى الشيخوخة والكِبَر ففي مجتمعِ الإسلام توقيرٌ لك واحترام لأنك قد بذلتَ ماضي عُمرِك بجهدك في المصلحة وفي المنفعة فأنت الآن موضع الاحترام يُجِلّونك لا لأجلِ شخصِك وذاتك ولكن بعقيدتِهم أنَّ إجلالَك من إجلالِ الله يقول نبي الله في الحديث ((**إنَّ من إجلاَلِ الله إكرامُ ذي الشَّيبة المسلم**))[1]

فالوالدان لهم حقٌّ مَن يتَّقي الله

إذاً فحقُّ الوالدين من أعظمِ الحقوقِ بعد حقِّ الله ورسولِه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

[1] (?) رواه أبو داود في كتاب الأدب- باب: في تنـزيل الناس منازلهم الحديث: (4835) والسيوطي في الجامع الصغير وقال : حديث حسن .

وسلم لذلك جاء في القرآنِ ربطُ شكرِهما بشكره تعالى ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2]

(?)[2] سورة لقمان آية (14) .

البر سلف:

ثم إنَّ هذا البرَّ كذلك صلةُ الرَّحم التي تقدَّم الحديثُ عنها يُعجِّل الله أثرَهما في الحياة الدنيا قبلَ الآخرة فلا يقومُ أحدٌ ببِرِّ والديهِ إلا أطالَ اللهُ عمرَه ويسَّر له أولادًا يبرُّونه إذا ما كُبر, وكذلك العقوق يكون سلفاً كما أن البرَّ سلف, كذلك قطيعة الرحم و البغي وكذلك والعياذ بالله الفواحش والتطلُّع على عوراتِ الغير تُعجَّل عقوبتها عليك في الدنيا, فيُتطَلَّع على بيتك وعلى أهلك وعلى أولادك كما تطلَّعت على بيوت الآخرين, فالبرُّ مع هذه الأمور يُعجَّل خيرُه في الدنيا قبل الآخرة, والعقوق يُعجَّل كذلك في الدنيا قبلَ الآخرة .. ولقد كان يتجرَّأ بعض الأولاد على أبيه حتى إذا غضبَ قامَ فسحبَ أباه من المنـزل حتى يبلغَ به إلى درَجِ البيت, وكبر ومضَتِ الأيام وكبرت سنُّه فكان أولاده شديدي التعامل معه فكانوا قد يحملونه أحيانًا فيسحبونَه حتى يجاوز المكان ويمشي في الدرج فكان إذا وصلوا إلى هذا المكان يقول كنت أسحبُ جدَّكم إلى هنا فقفوا, فيقولون: ذاك رأسُ المال والزائد ربح فنحن نزيدك فوقَ هذا فيزيدونه فوق ما قد صنعَ بأبيه, والجزاء من جنس العمل, فما من شيء أجدر أن يعجِّل اللهُ بعقوبته من البغي وقطيعةِ الرحم .

اللهم وفقنا للبر واسلك بنا مسلكَ البارِّين, واجعلنا من الهداة المهتدين, واجعل أبناءنا بررةً وكرامًا خيَرة . . برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم بارك في أولادنا ولا تضرهم, ووفِّقنا ووفِّقهم لطاعتك وارزقنا برَّهم .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .. والحمد لله رب العالمين . □ □ □

الدرس الخامس عشر

الإحسان إلى الجيران

الحمد لله المحسنِ المتفضلِ المنعِم , وصلى الله وسلمَ على نبِّيه محمدٍ الذي بُعثَ لمكارمِ الأخلاق يتمِّم , وعلى آله وأصحابه ومن سارَ على منهجِه من كلِّ منيبٍ أوَّابٍ مسلم .

أما بعد: فقد تقدم الكلام عن أخلاقٍ من أخلاق الإسلام العظيم .. أخلاقٍ عظيمةٍ من أخلاق الإسلام العظيم . الصبر على التحلِّي بها والرسوخِ فيها يسيرٌ وقصيرٌ في هذه الحياة ونتائجُها وثمارُها في الحياةِ وبعدَها كبيرٌ وعظيمٌ وجليلٌ وواسع, وقد جاءتنا الشريعةُ بخلقِ الإحسانِ إلى الجيران وأوجبَت حقَّ الجوار على كل مسلمٍ جاورَه أحد ولو كان المجَاورُ كافرًا بمعنى إذا كان من أهل الذمة الذين دخلوا إلى بلادنا بذمةٍ وسكنوا في بلادنا بأمانٍ فجاوروا بيوتَنا أن نعطيَهم حقَّ الجوار فإذا كان مسلماً تضاعفَ الحق فإذا كان من القرابة كان حق الإسلام وحق

الجوار وحق القرابة تضاعف الأمر والحق لذلك الجار, يقول نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه**))[1] أي سيجعلُ له حقًّا في الميراثِ من تركةِ جاره .

عظمة حق الجار والترهيب من تضييعه:

ما أعظمَ الحقَّ للجار وقد نفى النبي الإيمانَ عمن كان جيرانه لا يأمَنون بوائقَه ومعنى بوائقه: شروره وغوائله, إذا كان الجار لا يأمنُ من جارِه أنه يمكرُ به أو يؤذيه أو يتطلَّع عليه أو يؤذي أولادَه أو يفتنُ عليه إلى غير ذلك فليسَ ذلك الجار بمؤمنٍ بشهادةِ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحلِفِه بالله قال ((**والله لا يؤمن**)) وردَّدها ((**والله لا يؤمن**)) وردَّدها ((**والله لا يؤمن**)) قالوا من يا رسول الله؟ خاب وخسر قال ((**من لا يأمن جارُه بوائقَه**))[2] وقال في شأن التفقد للجيران ((**والله لا يؤمن من باتَ**

---

[1] **(?)** رواه البخاري في كتاب الأدب- باب: الوصاءة بالجار الحديث: (5669), ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب: الوصية بالجار والإحسان إليه الحديث: (2625) و أبو داود في كتاب الأدب- باب: في حق الجوار الحديث: (5152), و الترمذي في أبواب البر والصلة – باب: ما جاء في حق الجار الحديث: (2008), و ابن ماجه في كتاب الأدب- باب: في حق الجوار الحديث: (3674) وأحمد عن أبي هريرة .

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب- باب: من لا يأمن جاره بوائقه الحديث:(5670) ومسلم في كتاب الإيمان-باب: تحريم إيذاء الجار الحديث: (46) عن أبي شريح.

شبعان وجارُه إلى جنبه جائع وهو يعلم به))[1] ولأجل ذلك وجبَ على المسلم أن يتفقدَ جيرانَه ويتحسَّسَ مِن أحوالهم .

اهتمام الأخيار بالإحسان إلى جيرانهم :

ضرب المثلَ في ذلك بعضُ الكُبرَاء من المؤمنين حتى استحيى الجيران من كثرةِ ما يعطيهم, كان يعيشُ في القرن السابع فكان الجيران من كثرةِ ما يعطيهم يستحيون فلا يريدونَ أن يشعرَ في بعضِ الليالي أنهم بلا عشاء ، فيستعملون حيلةَ أن يُوقِدوا التنُّور بالحطب فتشتعل النار ولا شيء عندهم من الطعام يخبزونَه حتى يطمئنَّ الجارُ الذي استحيَوا من كثرةِ ما يعطيهم ، يطمئنُّ أنَّ عندهم عشاء حتى صادفَ أن سألَ يومًا بعضَ أطفالِهم قال: ما تعشَّيت البارحة؟ قال ما عندنا عشاء, قال لقد رأيتُ الخبزَ عندَكم والنار تشتعلُ في تنُّوركم! قال إنما يفعل ذلك أهلُنا حياءً منك, فشقَّ عليه الأمر وأتى يناشدُ جيرانَه ويقول: لستم في حِلٍّ مني .. توقعوني في هذه البليَّة ، أي ليلة أنتم بلا شيء فبَيتي لكم بيت خذوا منه ما تشاءون ولا أحلُّ لكم أن تبيتوا ليلةً بلا عشاء قط ونحن بجواركم . فلم يزل يفعل كذلك مع الجيران [2].

وهذه آثار الإيمان التي تصنعُ بأصحابها كذلك .

---

[1] (?) رواه الطبراني في الكبير و البزار بإسناد حسن.

[2] (?) وهو الإمام عبدالله بن علوي باعلوي المتوفى بتريم سنة 731هـ

من حقوق الجار:

فحقُّ الجارِ أن يتفقَّد جارَه حتى لاحظَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه إذا اشترى لأهلِ بيتِه هديةً من لُعَبٍ وغيرِها لأطفالِه أن لا يخرجوا بها إلى الشارعِ فيراها أطفالُ الجيران فيرجعون إلى آبائهم يريدونَ مثلَها وقد لا يقدرونَ على ذلك .. بل قال ((**وإذا اشتريتَ فاكهةً فاهدِ له ، فإن لم تفعل فأدخِلها سرًّا ولا يخرج بها ولدُك ليغيظَ بها ولده ، ولا تؤذِه بقِتارِ قِدرِك**[1] **إلا أن تغرَف له منها**))[2] فإما تطعمهم منه أو لا تجعلهم يشمُّون رائحة الطعام الذي لا يقدرون عليه . . إلى هذه الحدود في رعاية حق الجيران كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى هذه الحقوق وهذه الأحوال .

ما أكثر ما يهملُ المسلمُ هذه الحقوقَ لجيرانه ويعيشُ كثيرٌ من المسلمين إلى حدٍّ أن لا يعرفَ جيرانَه مَن هم كما هو حال بعض المدنيَّاتِ التي طغَت على الأخلاقِ الفاضلات فتجدُهم في عمارةٍ واحدةٍ يسكن مسلمون مِن بلادٍ مختلفة فلا يتعارفونَ ولا يتزاورون, وربما كان مسكنُ هذا

---

[1] (?) قتار قدرك: هو ريح القدر والشواء ونحوهما.

[2] (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان باب:إكرام الجار الحديث: (9560), والطبراني في الكبير عن معاوية بن حيدة , والخرائطي في مكارم الأخلاق, وابن عدي في الكامل وهو ضعيف إلا أنه يتقوى بمجيئه من طرق متعددة .

بمقابل مسكنِ الآخرِ هذا في شقة وهذا في شقة وبينهما بُعدُ الشُّقة, بَعُدَت عليهم الشقةُ والمسافة حتى ربما ماتَ الجارُ ولم يعرف الجارُ بموته ولم يحضر جنازتَه ولم يشهدها, وشهودُ الجنائز من حقوقِ المسلمين على وجهِ العموم فكيف بالجار وحق الجار فما ضياع ذلك إلا من ضياعِ حقائقِ الدين وحقائق الإيمان وحقائقِ ترجمةِ الإسلامِ في واقعِنا وفي حياتِنا . فيجب على كل مسلم أن يتفقدَ أحوالَ جيرانِه , وأن يساعدَهم بما استطاع , وأن يهنئَهم بمناسباتِ الأعياد وبمناسبةِ شهرِ رمضان وأمثال ذلك من المناسبات , وأن يُعزِّيَهم إذا نزلَت بهم مصيبة , وأن يكونَ لهم حَسَن الجوار يتهيأ لأحسنِ جِوار وهو جوارُ اللهِ في دار كرامتِه وجوارِ أنبيائه ورسلِه والصالحين من عباده .. فأحسِن الجوارَ هنا يَحسُن لك الجوار عند خيرِ المجاوِرين في دارِ الكرامة ..

اللهم وفِّقنا لأداءِ حقوقِ الجيران واجعلنا من المتعاونين على ما يرضيكَ يا رحمن, وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه , والحمد لله رب العالمين.



الدرس السادس عشر

نصرة المظلوم

الحمد لله, وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ وآله وصحبهِ ومن اهتدى بهداه, وجعلنا الله ممَّن يهتدي بذلك الهدى, ويسلمُ من جميعِ أنواعِ الفتنِ والزيغِ والردى ، إنه أكرمُ الأكرمين وأرحم الراحمين .

أما بعد: فإنَّ نصرةَ المظلومِ في الشريعةِ المطهرةِ بما قدرَ عليه المسلمُ فرضٌ وواجبٌ حتمي عليه لا عذرَ له في تركِه مهما قدرَ عليه . . فمن الناس مَن يتصوَّر عن الإسلام أنه مجردُ إقامة الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وينسى الأخلاقَ بعد ذلك وما تلك الأركان إلا مُشَيِّدَةٌ لِبُنيان الأخلاق ، فمن الواجباتِ الحتميَّة الضرورية نصرةُ المظلومِ لكلِّ من قدرَ عليها .. فمتى أُهينَ مسلمٌ وهو يرى أو يعلم ولم ينصره بما يقدرُ أن ينصره به أذلَّه الله تعالى في موطنٍ يحب النصرةَ فيه .. ومن ذبَّ عن عِرضِ مسلمٍ ونصرَه في موطن يحب النصرةَ فيه إلا نصرَه الله تبارك وتعالى في الدنيا وفي الآخرة .

نصرة المظلوم بحسب وسع المسلم وطاقته :

فيجبُ على المسلم أن يبذلَ الوسعَ في نصرةِ المظلومين مِن المسلمين بما يقدرُ عليه .. فمن يكونُ في دائرتِه وقربه بامتدادِ يده بما يقدر عليه

في دَفعِ الظلم عنه, ومَن كانَ بعيدًا من حيث المسافة ومن حيث المساحة فإنه قريبٌ من حيثِ العقيدة وقريبٌ من حيث المبدأ والدين ، فلأجلِ ذلك تتوجَّه علينا نصرةٌ لهم ، ومن جملة ذلك ما يأتي على وجهِ العموم وتُنشَر الأخبارُ عنه في وسائلِ إعلامِ المسلمينَ وغيرِ المسلمين من اضطهادِ المضطهَدين من أهلِ الإسلام وظلم المظلومين منهم في كثيرٍ من البقاع كما سمعَ الناس عما حدثَ في فلسطينَ المباركة وما قامَ به أعداء الله من الاعتداء على أهلِ دينِ الله تعالى وما عبروا به عن غيظِهم وحنَقِهم وحِقدِهم على الإسلام وأهل الإسلام فتبيَّن أنَّ في تلك الديار مظلومينَ من أهلِ هذه الملة يجبُ نصرتهم بما قدرَ عليه المسلمون من دعاءٍ ومن بذلِ لمال ومن مساعدةٍ بكل ما أمكنَ لهم ، كذلك إخواننا الذين يعانون الظلمَ والاضطهاد في بعض البقاع كالشيشان وغيرها مِن البقاع التي يتعرض فيها المسلمون لأذى الكفار وانتهاكِهم لحُرماتِهم واعتدائهم عليهم بغيرِ حق يجب نصرتهم بما استطاع الإنسان .

ونصرةُ المظلوم وفرضيتها في الشريعة تجعلُ المسلمَ عائشًا واقع المسلمين وعائشًا مع المسلمين ليس بعيدًا عما يدور حواليه مما يتعلق بواجبه مما يعنيه, لا دخل له في الفضول ولا فيما لا يعنيه, ولا يمتد إلى ما لم يشرع له ولا ما لم يخصُّه ولكن في حدودِ ما فرضَت عليه شريعةُ

الله وما أوجبَ عليه دينُ الله تبارك وتعالى ، يتلمَّسُ ويتحسس أحوالَ المسلمين ويتفقدهم إلى حدٍّ أن جاءَ في الحديث ((**أنصر أخاك ظالمًا أو مظلوما**)) قالوا يا رسولَ الله ننصره إن كان مظلومًا, فكيف ننصره إن كان ظالما ؟ قال: **إن كان ظالمًا** - وهو أخوكم مسلم- **تحجزه من الظلم فإنَّ ذلك نَصرُه))**[1] ، أي معنى النصرِ أن تحافظَ عليه من التعرُّض لِبطشٍ وغضبٍ من الجبار, أن تحافظَ عليه من أن يناله الضر والأذى من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر, فإن كان ظالمًا فإنَّ الضررَ واقعٌ عليه بظلمه فَكُفَّه عن الظلم, فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة فأنتَ تنصره إذا كفَفته عن ذلك الظلم .

اهتمامِ الصادقين مع الله بنصرة المظلومين:

نصرةُ المظلوم وإغاثةُ الملهوف من محاسنِ الأخلاقِ التي جاء بها الإسلام والتي تسابقَ إليها طالبوا القربِ من الله تبارك وتعالى فجعلوا في ذلك بَذلاً لأموالِهم بل لأوقاتِهم وأفكارِهم بل لأرواحِهم مهما قدَروا على ذلك , فعاملوا اللهَ وبايعوه وتاجَروه فرَبحَت تجارتُهم إذ توجَّهوا لتلكَ النصرةِ التي يحبُّها الله تبارك وتعالى, والمعاونةُ والمساعدةُ التي شرعَها الحق جل جلاله واحتلَّ أصحابُها منـزلةً من قُربِه وعطفِه ورأفتِه ورحمتِه.

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب المظالم- باب: أعِن أخاك ظالما أو مظلوما الحديث: (2312) ورواه مسلم في كتاب البر - باب نَصر الأخ ظالما أو مظلوما الحديث: (2584) عن أنس.

فنصرةُ المظلومِ من خيرِ ما يترجمُ الرحمةَ في قلبِ المسلم ، من خيرِ ما يترجمُ معاني الإيمان التي تقرُّ في قلبِ المسلم المؤمن بالله وبما جاء عنه, فلا ينبغي أن يتخلفَ عن نصرةٍ قدرَ عليها بمالٍ ولا بقَولٍ يقوله عند أحد أو في مجلسٍ أو في مناسبةٍ بما استطاعَ لا يجعل ذلك بلبلةً ولا كلامًا بعيدًا عن الفائدة ، ولكنه بعقلِه وحكمتهِ يحرصُ على الفائدة بالكلمة الطيبة وقول الحق في مكانه وإيصالِ الأمر على وجهه لمَن بهم يُغيثُ ذلك المظلوم أو ينصره ومساعدته بما أمكنَ من مالٍ أو حال ..

فهذا خلقٌ من الأخلاق الفضيلةِ التي جاءت بها الشريعة الجليلة ، فما أجدَرنا أن نلفتَ نظرَنا وعنايتَنا إليها حتى لا يبقى بيتُك أيها المسلم مقطوعًا عن واقعِ المسلمين مقطوعًا عن الهمِّ بالمسلمين مقطوعًا عن الفكرِ في مصالحِ المسلمين, وأنت عضوٌ في جسدٍ كيف لا تشعرُ بما يجري على كثيرٍ مِن أعضاءِ الجسد ((**وإنما مثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحمِهم وتعاطُفِهم كمثلِ الجسدِ الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى**))[1]

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب - باب: رحمة الناس والبهائم الحديث: (5665), و مسلم في كتاب البر والصلة والآداب-باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم الحديث: (2586) عن أنس.

اللهم انصرنا ووفقنا لنصرةِ المظلوم ، وهب لنا خيرَكَ الأعلى , ومنَّك الأسمى ، وادفع عنا شرَّ الظلم والظالمين ، واجعلنا من الهداة المهتدين . .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

□ □ □

الدرس السابع عشر

إنجاز الوعد

الحمد لله ، وصلى الله وسلمَ على رسوله وعبده ، ومصطفاه سيدنا محمدٍ وآله وأصحابه ومن سارَ على منهجه واهتدى بهداه . أما بعد فإنَّ الإنجازَ للوعودِ والوفاء بالعهود ، جاء في شرعِ الله تبارك وتعالى خُلقاً لِمن أسلمَ ولمن آمن واتبعَ هديَ النبي المصطفى صاحبِ المقام المحمود صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾[1] ولقد حذَّر النبي من الوقوعِ في عمَل المنافقين بإخلافِ الوعد[2] فصار الوعدُ عند المؤمنين ذا أهميةٍ ومكانَ اهتمامٍ لهم لا يَعِدُون بوعدٍ إلا استجمَعوا جُهدَهم للوفاءِ به وإنفاذه على ما وعدوا خشيةَ أن يدخلوا فيمن يُخلِفوا المواعيد .

إنجاز الوعد سمةُ المؤمن

وهذا الأمر أمرُ إنجاز الوعد إذا وعد المؤمن بخيرٍ له مكانةٌ ساميةٌ في الواقعِ ومن تَهدَّم بنيانه بينَ أهلِ الملة أخذوا مأخَذًا غريباً في أن ينسبوا الإنجازَ للوعدِ لغَيرِ أهل الملة ، وانطوَت عليهم

---

[1] (?) سورة النحل آية (91) .

[2] (?) إشارة إلى حديث: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان).رواه البخاري في كتاب الإيمان- باب: علامة المنافق (23) .

الحيلة والمكر والاستدراج حتى صاروا يرونَ التقيَّدَ بالوعدِ والاهتمام بإنجازه صفةٌ لغير المسلمين ، فصار المسلمُ يقول لأخيه المسلم إذ قد انجرفَ في هذه الخدع وهذه الحيل ودعا إلى ذلك إنهدام قواعدِ التقوى بين المسلمين يقول له بيني وبينك وعد أن تفعلَ كذا أو تأتي في ساعة كذا فيقول هوٍ وعد آل كذا وآل كذا من أهل الكفر, أي يؤكِّد عليه الوعد بضربِ المثل بأولئك الكفار, فما أضيعَ عقلَ هذا وأقل فقهَه لدينِه و لشرعِه ، وكان الأولى والأجدرُ أن يقولَ بوعدِ المسلم أتعِدُني وعدَ المسلم على أن تُنجزَ هذا الأمر أو هذا العمل أو تأتيَ في ساعةِ كذا فإنه ما من شريعةٍ عظمت شأنَ الوعدِ كشريعة الإسلام ، ولا يلتزم الوعودَ غيرهم إلا لمصالحِ دنياهم وبدَوافعَ محدودةٍ ضيقة . . لكن المؤمنَ يعدُّ إخلافَ الوعد وتضييعَه خروجٌ عن أدب الشريعة وعن واجبها ، وتعرضٌ لِسَخطٍ كبير فهو الأحرصُ عليه مِن الذي يحرصُ على الوعدِ مِن أجلِ مصلحةِ تجارةٍ أو سمعةٍ بين الناس أو الوصولِ إلى مصلحةٍ مُنقَضية ، لكنَّ المؤمنَ بإنجازِه الوعد يصل إلى مصالحَ لا نهاية لها .. وإلى نعيمٍ أبدي وإلى تحقُّقٍ بِحقائقِ دينِه وإيمانه ، فمِن الجهل بالدين أن يُظَنَّ أنَّ إنجازَ الوعود يُضرب به المثل لغيرِ أهلِ الدين .. بل المثَلُ في إنجازِ الوعود نبي الله صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام وخيارُ هذه الأمة ، فينبغي بهم أن نقتدي ونتخذَّهم مثلاً لنا ، وكان جعفر

الصادق إذا وعدَ أحدًا بوعدٍ لم يأكل ولم يشرب حتى يفيَ بالوعد ..لم يرضَ أن يتناولَ الطعام ولا الشراب حتى ينفِّذ الوعد أولاً وينجزه . ولهذا أحبُّوا أن تكون خيورُهم للناس إبتداءً من غير وعد .. وإذا احتاجوا إلى الوعد تنبَّهوا لإنجازِه في وقته وعلى هيئته التي وَعدوا عليها ، وبالغوا في ذلك وكان إنجازُهم للوعد أحسنَ مما وعدوا عليهم رضوان الله فكذلك ينبغي أن يكون المسلم .

ومن العجب أن ذلك انتشر حتى في مواعيدِ المسلمين في أعمالهم مثلاً فتجدُ الذي وُظِّفَ في عملٍ معين وله موعدٌ في المجيء والخروج يُخِل بهذا الوعد ويُخلِفه .. بل في دعَوَات المسلمين فقد يدعو الناسَ لمناسبةٍ من المناسبات الساعة كذا وكذا فيأتي الضيوف بعضُهم متقدم وبعضهم متأخر لما انتشر من الإخلال بهذا الخلق وهذه السنة حتى يتضررَ الذي جاء على الوعدِ بسبب تَخلُّف المتخلِّف ولا يُنجزُ صاحبُ الوليمة وعدَه كذلك , فيضيعُ وقتٌ كثيرٌ وربما سبَّبَ ذلك تضرُّراً لكثيرٍ من المسلمين . والقصد أنه ينبغي لأهلِ الإسلامِ أن يضبطوا شئونَهم بموازينِ شرعِهم وأن يسيروا في حياتهم على وِفقِ الإرشاداتِ الإلهية ..

وفَّقنا الله تعالى للتخلُّقِ بالخُلقِ المرضي وجعلنا من الذين يستقيمونَ على منهجِ رسولِ الله سيدنا النبي قولاً وفعلاً, اللهم ثبِّت ووفِّق

وأصلح وتولَّ المسلمينَ وارعَهم وادفعِ الآفاتِ عنهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ,

والحمد لله رب العالمين.

□ □ □

الدرس الثامن عشر

التواضع

الحمد لله وليِّ الصالحين ، وصلى الله وسلَّمَ على عبدِه وحبيبِه الأمين ، سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ والتابعين .

أما بعد: فإنَّ أخلاقَ الإسلامِ في عظَمتها تشيِّد بنيانَ السعادة وتُهيء العاملَ بها للحسنى وزيادة, اللهم اهدِنا لأحسنِ الأعمالِ و الأخلاقِ لا يهدي لأحسَنِها إلا أنت واصرف عنا سيئَها لاَ يصرفُ عنا سيئَها إلا أنت . . وإنَّ من الأخلاقِ القلبيةِ عند المؤمن تواضعَه الذي أحبَّه الله منه ووعدَه أن يرفعَ به منـزلتَه ودرجتَه ((**من تواضعَ لله رفَعه الله**))[1] كما أنه سبحانه من عادتِه أن يضعَ المتكبِّرينَ ويخفضَهم شاءوا أم أبَوا ويجعلَ جزاءَهم في الدنيا وجزاءهم في العقبى كذلك .. كما قال جل جلاله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾[2] دعانا لأن نتواضعَ مع عبادِه حتى وصفَ عبادَه الصالحين بأنهم يمشون على الأرض هونًا قال ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾[3] إلى آخر ما وصفَهم

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب: استحباب العفو والتواضع الحديث: (258).

2 (?) سورة النحل آية (23).

3 (?) سورة الفرقان آية (63).

به ربهم قوله ﴿ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ ترجمَ تواضعَهم حتى مع الجمادِ ومع هذه الأرضِ في مشيَتهم .. وذلك لأنَّ التواضعَ والتكبُّرَ مع أنهما وصفان قلبيَّان لهما ظواهر متعلقة بما يبدو على جوارحِ الإنسانِ ومعاملتِه, فمن استقرَّ في قلبِه التواضعُ رأيتَ أثرَ ذلك في أقوالِه وفي أفعالِه مع الناس ، ومَن استقرَّ في قلبِه الكبر لابدَّ أن يظهرَ أثر ذلك في نَخوتِه وترفُّعه وإبائِه وشُطوحه وإعلائه رقبته وعطفها ورفعه رأسه إلى غير ذلك, واستنكافه من أن يجلسَ مع الفقير ومع المسكين, واستنكافه من أن يجلسَ في دونٍ من المجلس أو أن يظهرَ بثوبٍ متوسطٍ مثلا إلى غير ذلك من مظاهر الكِبر الذي قد يكون بوصفٍ من أوصاف الدنيا وقد يكونُ بوصفٍ من أوصافِ الدين .. يكون الكبر بوصفٍ من أوصاف الدنيا كغنى مثلا أو سُلطة مثلا أو جاهٍ بين الناس أو خِلقة ، والدنيا بما فيها أهونُ عند الله من جناح بعوضة فلا يتكبرُّ بها إلا من سقطَت هيبةُ الحقِّ تعالى من قلبِه .. هي أحقر من أن يتكبَّرَ بها فإن تكبرت بشيء منها فمع فرعون وهامان وقارون ما هو أكثرُ منك فهل هم قدوَتك أو هل هم مَثَلُك الذي تحتذيه أو ترضى أنت أن تؤولَ إلى مصيرِهم الذي ذكره بارئك, إذًا فالعزة الحقيقية ليست بهذه الدنيا﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [1] وقد يكون الكبرُ بطاعةٍ أو بعلمٍ أو بشيء من أمور الدين فعلى صاحبِه

[1](?) سورة المنافقون آية (8)

أن يعلمَ أن كبرَه بذلك يحطُّ منـزلتَه وأنه يفسدُ
عليه دينَه وطاعتَه وعبادتَه ويوقعُه موقفَ الذلة
في الدنيا والآخرةِ والعياذ بالله تبارك وتعالى ،
فلينتبه من التواضع ويقيم ميزانَه ويتوجَّه إلى
تحقيقه في حياته ولو بالتكلفِ أوَّلاً حتى يرسخ
ذلك في قلبه .. فإنَّ من رأى واعتقد نفسَه أنه
خيرٌ من أحدٍ من الخلق فقد خرجَ عن التواضع
ودخلَ في قلبه شيء من الكبر حتى يُعاملَ اللَهَ
بأن يعتقدَ أنه أذلُّ خلقِه وأفقرُ عبادِه إليه وأنه
يخاف بطشَه وانتقامَه ، فلأجلِ ذلك لا يصدرُ منه
الاستفزاز بشيء من الحوادث التي تحدثُ حواليه
ولا يزال يطلب التواضعَ في أفعاله وفي أقواله
كذلك ، يقتدي بسيد المتواضعين وهو رسول الله
الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
الذي تستطيعُ الجاريةُ من جواري المدينةِ أن
تستدعيَه ليكلمَ لها أحدًا في حاجةٍ أو يشتري لها
حاجةً أو يقضي لها أمرًا من الأمور, فتعترضه في
الطريق فيذهب معها إلى حيث قضاءِ مُرادِها و
حاجتها ثم يعود صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم ..

وصفٌ لحال رسول الله في بيته ومع أهله:

وسُئِل أهل بيته كيف حاله صلى الله عليه
وسلم وهو في البيت إذا دخل عندهم ؟ قالوا
يكون كأحدنا يطرح هذا ويأخذ هذا ويَقُمُّ البيتَ

ويرقعُ الثوبَ[1] ويقطع اللحمَ صلى الله عليه وآله وسلم .. قالوا فإذا حضرت الصلاةُ خرجَ كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه من تعظيمِه لفرضِ الصلاة صلى الله عليه آله وسلم . قالت أم المؤمنين عائشة وما كنا نبالي به بالاً يعني إذا دخل البيت لا نهابُ ولا نخاف بل يدخلُ في تواضعِه العظيم صلى الله عليه وسلم, قالت إلا داجن كانت عندنا في البيت تذهب وتجيء فإذا دخل رسولُ الله جلست في جانبِ البيت فلم تتحرك حتى يخرجَ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فما أعظمَ خُلُقَه وأشدَّ تواضُعِه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله فهكذا ربَّى أصحابَه الكرام فمضَوا حتى منهم من مضَى في ثيابٍ مُرَقَّعةٍ ولم يرَ بذلك عاراً ولا عيبًا ، واشتغلوا بخدمةِ عجائزِهم وخدمةِ الضعفاء فيهم وضربوا الأمثلةَ في ذلك رضيَ الله تعالى عنهم وأرضاهم .

فَوطِّن نفسَك على التواضعِ أيها المؤمن يرفعك الله سبحانه وتعالى , فإنَّ اللهَ يرفعُ كلَّ من تواضعَ لجلاله .. فتواضع في قولك وتواضع في فعلك واستحي أن تنسبَ الفضائلَ إلى نفسك فإنَّ ربَّك يزيلُها عنك في طَرفةِ عينٍ إذا أراد, ويَحُولُ بينك وبينها.. يا متكبرًا بصورة: وَرمَةٌ تظهرُ فيك تُذهِبُ عنك جمالَ الصورة .. يا متكبرًا بصحة: ألمٌ في سن أو في أذن أو في عين يذهب

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الجماعة و الإمامة - باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج .. (الحديث: 644)

بصحتِك كلِّها ولا يُبقي منها شيء .. يا متكبراً بمال: لحظةٌ من اللحظات تصبح فيها فقيرًا, تجتاحُه جائحة أو تغرغر بروحِك فلا ترى له أثرًا ولا فائدة ولا تسمعُ بعد ذلك عنه خبرًا, إذاً فاحذر أن تتكبرَ بدنياك أو بشيء من دينِك فتفسده وتواضع لربك يرفعك الله .

اللهم ارفعنا وكن لنا واستجب لنا واسمعنا وادفع الآفاتِ عنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين . .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين



الدرس التاسع عشر

العفـــــــــــــــــة

الحمد لله ، وصلى الله على مرشدِنا إلى سبيله وداعينا إليه, عبده وحبيبه محمد أفضل الصلوات والتسليمات وعلى آله وأصحابه القادات وتابعيهم بإحسان .

أما بعد: فإنَّ من أخلاقِ المسلم ثلاثٌ أقسمَ على نتيجتِهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثِه فقال ((**ثلاثٌ أقسِمُ عليهن: ما ازدادَ عبدٌ بعفوٍ إلا عزًّا, وما نقصَ مالٌ من صدقة, ولا فتحَ أحدٌ على نفسه بابَ سؤالٍ إلا فتحَ الله له بابَ فقر))**[1] ولنأخذ التركيزَ من هذه الثلاث على وصفِ عفَّةِ المسلمِ عما في أيدي الناس.. فكما أنَّ مِن وصفِ المؤمن الجود بما في يده, والإيثار والبذل له, فكذلك من وصفِه أن يعفَّ عما في أيدي الناس و يستغني بالله تبارك وتعالى ولا يسألُ المالَ إلا من وجهِه وعلى طريقِه بما شرعَ الله له مِن تجارةٍ وصناعةٍ وزراعةٍ وإلى غير ذلك من الأسبابِ والوسائلِ المشروعةِ على وِفقِ أحكام الشرعِ, فلا تمتد عينُه إلى ما في أيدي الناس ولا يسألِ الناسَ وهو يقدر على العمل والكسبِ قط

---

[1] (?) رواه أحمد عن أبي كبشة الأنماري , والترمذي في أبواب الزهد- باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر الحديث: (2427) وقال : حديث حسن صحيح .

أبدا ، ومن سألَ باسم الفقر والحاجة وعنده قوتُ يومِه وليلته كان ما يأخذه حرامًا من أيدي الناس لأنه لا يستحقُّ السؤالَ باسم الفقرِ إلا من فقدَ قوتَ اليومِ والليلة فإذا فقدَ قوتَ اليوم والليلة سأل فإذا أُعطيَه كفَّ عن السؤال حتى يأتيَ اليومُ الثاني فإنه له رزقُه الثاني الذي يرسلُه الله تبارك وتعالى إليه .

العفة سببٌ لغنى النفس .

والقصد أنَّ المسلم إذا عفَّ عما في أيدي الناس يسَّر الله تعالى له أسباب غِنى النفس ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم ((**ليس الغنى عن كثرة العَرض ولكنَّ الغنى غنى النفس**))[1] ولأجل ذلك قالوا إنَّ الفقرَ الذي استعاذَ منه رسولُ الله هو فقرُ القلب الذي يبقى صاحبُه مُتشوفاً إلى ما في أيدي الناس وممتدةً عينُه إليه فيعيش فقيراً ولو ملكَ الكثيرِ ولو ملكَ الدنيا بما فيها فإنَّ هذا الفقرَ يؤدي إلى كثيرٍ من الآفات والمهاوي ، حينئذٍ يجب على المسلم أن يسلكَ مسلكَ تلك العفة فلا يزال يبذل الفضلَ من يده ويمسك الفضلَ من لسانه ولذا لما طلبَ الوصيةَ بعضُ المستَوصينَ من بعضِ الأخيار قال له (**فُكَّ**

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق- باب الغنى غنى النفس الحديث: (6081), ومسلم في كتاب الزكاة- باب ليس الغنى عن كثرة العرض الحديث: (1051) والترمذي في أبواب الزهد- باب ما جاء أن الغنى غنى النفس الحديث: (2479), وابن ماجه في كتاب الزهد- باب: القناعة الحديث: (4137).

كفَّك وكُفَّ فَكَّك) فُك كفَّك: كفك فُكَّه أنفق, وكُفَّ فَكك: لسانك فمَك, فهذا الفَك كُفَّه, فإنه من أمسكَ الفضلَ من لسانه وبذلَ الفضلَ من يده كُتب ذاكراً شاكرًا, ومن لا فلا يكتبُ ذاكراً ولا يُكتب شاكراً ، فينبغي أن يكون المسلمُ على هذا الوصف وعلى هذا الخلق ، وخُذ قسمَ النبي على النتيجة .. أما أولاً فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**ثلاثٌ أقسِم عليهن: ما ازدادَ عبدٌ بعفوٍ إلا عزًّا**)) كل من عفا عمن آذاه أو عمن استحقَّ عليه شيء فلن يزدادَ بهذا العفو إلا عزا .. لن يذل .. ولن يُؤذَى بسببِ هذا العفو ، **ما ازدادَ عبدٌ بعفوٍ إلا عزا**، فكثيرٌ من الناس يقولون إن عفوتَ عن ذا وذاك تجرَّءُوا عليك وأهِنتَ بينهم, فقل لهم قال النبي: **ما ازداد عبدٌ بعفو إلا عزا** . ويقولون إن أنفقتَ في هذا الخير, وفي هذا الخير قَصُر مالُك وضَعُف حالك . . قل لهم ((**وما نقصَ مالٌ من صدقة**)) لا ينقص المال من الصدقة مهما جاءت في موضعها بل يزداد بل يزداد بل يزداد ((**وما فتحَ أحدٌ على نفسِه بابَ مسألةٍ إلا فتحَ الله عليهِ بابَ فقر**)) هو يسأل ويزداد في السؤال والفقر يزداد عليه , وذلك الذي يسأل طمعا.. أما الذي يسأل لغيره من المحتاجين أو يسأل للمصالح العامة فيطلب من الأغنياء و الأثرياء أن ينفقوا فيها وأن يبذلوا فيها وأن يسارعوا إلى المثوبات في الإنفاق في تلك السبُل المرضيَّات فليس داخلاً في هذا الحديث, إنما الذي يسأل

لنفسه طمعًا فيما في أيدي الناس هو الذي يفتحُ الله له أبوابَ الفقر .

ويمضي المسلمُ الصادقُ في إسلامه على القناعةِ بما رزقَه الله وعلى الاسترزاقِ بما شرعَ تبارك وتعالى وعلى توكُّله على الله جل في علاه وعلى استعفافه عما في أيدي الناس وعدم التفاته واستشرافه إليه, حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم ((**ما جاءك من هذا المال مِن غير إشرافِ نفسٍ فخُذه فإن كان لك حاجة فتمَوَّله, و إلا فتصدَّق به ، ومالا فلا تُتبِعه نفسك**))[1] لا تُتبع عينَيك ونفسَك ما لم يأتِك من نفسه فما أتاكَ من نفسه فالمنهجُ الصواب فيه لا نسأل ولا نرد مهما جاء من وجهٍ غير حرامٍ وجاء من وجهٍ طيب فيُقبل فإن كان لك حاجةً فخذه وإلا فتصدَّق به .. فنِعم المسلك هذا و بئسَ امتدادُ العين إلى ما في أيدي الناس .

جعلنا الله تعالى من أغنياء القلوب ، وجعلَ سبحانه الأرزاقَ الظاهرةَ والباطنةَ مسخرةً لنا, وجعلَ الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا, وجعلنا ممن ينفقها ابتغاء وجهه الكريم..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ..

---

[1] (?) رواه البخاري في كتب الأحكام-باب: باب رزق الحكام والعاملين عليها الحديث: (67) ومسلم في كتاب الزكاة- باب: من أعطي من غير مسألة ولا إشراف الحديث: (1045) والنسائي وأحمد عن عمر بن الخطاب .

والحمد لله رب العالمين.

□ □ □

الدرس العشرون

تربية الأبناء

الحمد لله ، وصلى الله على عبده وصفوتِه مِن خلقِه سيدِنا محمدٍ وآله وأصحابه ومن سلكَ طريقته السديدة .

أما بعـد: فـإن مما جـاءت به شـريعةُ الإسـلام لكلِ مسلمٍ أن يقومَ بحُسنِ التربيــةِ لأهله وأولاده وتفقُّدِ أحوالهم في تنشئتهم على ما يُرضِـي ربـه, وأن يفقهَ أنهم أمانــةٌ لديـه, وأن يـؤدي حـقَّ هـذه الأمانة ويعلمَ أنه بتضـييعها يتحـوَّل المـال والأهل والولد إلى عــدوٍّ وإلى فتنــةٍ عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾[2]

فالذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات تكـون أمـوالُهم قربةً إلى الله لأنهم ينفقونها في محلِّها, وأولادهم قربة إلى الله لأنهم يرَبُّونهم على منهج الله ، و يبقــونَ بعد وفــاتهم تصــلُ حســناتهم إلى أرواح آبــائهم الــذين مضــوا قبلهم . إذًا فتربيــةُ الأبنــاء والبنات وكذلك الأهلين خلقٌ مهِم عظيمٌ للمســلم يــترتب عليه صــلاحٌ في الأسَــر .. وصــلاحُ الأســرِ صلاحُ المجتمع وهو صلاح الدولة .

---

[1](?) سورة التغابن آية (14).

[2](?) سورة سبأ آية (37) .

التربية لهؤلاء الأبناء بإدراك أنهم أمانةٌ في عنقك يلزمك تغذيةُ أجسادِهم وأرواحِهم وربطهِم بشرعِ ربهم جل جلاله, حتى يكونوا لك قرةَ عين يوم يبعثُ الله الخلائق قال تعالى في وصف العباد الصالحين ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] تربيةٌ للأولاد ، تربيةٌ للأزواج ، ليكونَ الأولاد والأزواج قرة عين .

كيف تكون تربية الأولاد

تربية الأولاد: بحسنِ النية فيهم, وتمنِّي أن يكونوا من أهلِ قربِ الله ومِن جُند الله, ومِن الصالحين مِن عبادِ الله .. فهذه الأمنية والنية لها تأثيرٌ على الأولاد, فمِنَ الناس من لا يخطرُ على بالِه عند الشعور بحملِ أهله إلا أنه سيأتي ولدٌ يُدخل عليه المال أو يوظِّفه في وظائف لتدرَّ عليه الرزق أو ليظهرَ به مظهرًا في الحياة, ومن الناس مَن ينازلُ قلبَه أن هذا يكون ولداً من الأولاد ذكرًا أو أنثى يطيع اللهَ فتكون له مثل طاعته ، ويستقيم على منهج الله فيكون سببًا لرحمته, ويكون عُدةً له في آخرته, وقرةَ عينٍ له في مصيره ومعاده . فهذه النيات لها تأثيراتٌ ، يقول النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم **((تزوجوا الولودَ الودودَ فإني مكاثرٌ بكم الأممَ يومَ القيامة))**[2] ففيه إشارة إلى أن

---

[1] (?) سورة الفرقان آية (74) .

[2] (?) رواه أبو داود في كتاب النكاح- باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء الحديث: (205), وأحمد عن أنس

النية ينبغي أن تكون من عند الزواج بالنسبة للأولاد أن يأتي أولادٌ يَرِدُون على الحوض, و يكاثر بهم النبي الأممَ السابقة يوم القيامة ، ليكثرَ الواردون على حوضه المورود .. فانظر إلى عجيبِ هذه النية الطيبة الصالحة المربوطة بالزواج من أول التفكير في النكاح ، فما أعظم هذا المربي المعلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ((**تناكحوا تكثروا فإني مُباهٍ بكم الأممَ يوم القيامة))**[1] ربطنا بهذه النية وسنَّ لنا أن نؤذِّن في أذن المولود اليمنى عند خروجه من بطن أمه ، ونقيم الصلاة في أذنه اليسرى، وكذلك فعلَ بسيدنا الحسن وسيدنا الحسين حينَ ولدت كلاًّ منهما أمهما البتول الزهراء فاطمة رضي الله عنها, أذَّن النبي في الأذن اليمنى وأقام الصلاة في الأذن اليسرى[2] فكان أول ما يطرق سمعَ المولود في هذا العالم .. الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله .. اسم الله واسم رسوله, وتعظيم شعائر الله حي على الصلاة حي على الفلاح, أول ما يطرق سمعَه , ثم جاءنا ((**مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناء سبع سنين, واضربوهم على تركِها وهم أبناء**

, وابن حبان , والحاكم وصححاه .

[1] (?) رواه الديلمي عن ابن عمر.

[2] (?) رواه الترمذي في كتاب الأضاحي-باب: الأذان في أذن المولود الحديث: (1517) وقال : حديث حسن صحيح, والطبراني في الكبير.

عَشر سنين))[3] من حين السبع السنين نربطهم بفرض الله نربطهم بالفرائض الخمس نربطهم بالصلاة لله تبارك وتعالى. فنحن قد نوَينا النيةَ الصالحةَ من حين زواجِنا ثم من حين أحسسنا بالحمل ثم أسمعناهم ذكرَ الله أول ما وُلدوا وأطعمناهم من الحلال وجنَّبناهم الحرام لا نناولهم ثديًا ولا قارورةً فيها لبن في صباهم إلا ذكرنا اسمَ الله وقلنا بسم الله, ولقد كان بعضُ الصالحين يشترط على زوجته ومرضعةِ أبنائه أن لا ترضعَهم ألا وهي تذكر الله تعالى ليرضعوا اللبن ويرضعوا أثرَ الذكر مع هذا اللبن ونور هذا الذكر . وأن يختاروا لهم الاسمَ الحسن فمِن الناسِ من يذهب فِكرُه إلى اسمِ أحدٍ من الفجار أو الكفار يسمع باسمه فيُسمِّي ولدَه باسم ذلك .. ما أبعده عن الصواب وما أبعده عن الخير !
خذ أسماءَ أنبياءِ الله والصالحين من عباد الله , فسمِّ أولادَك بتلك الأسماء, ومن خيرِ الأسماء ما عُبِّدَ وما حمِّد ، ما كان مشتقًّا من العبودية لله كـعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الكريم إلى غير ذلك, وما كان مشتقًا من الحمد كـمحمد وأحمد وحامد ومحمود إلى غير ذلك ..
ونعمَ الأسماء التي اختارها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبنائه وبناته ، واختارها كذلك أحفاده وذريته صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله ،

---

[3](?) رواه أبو داود في كتاب الصلاة- باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة الحديث: (495) بإسناد حسن.

فينبغي أن نختار لهم الاسم الحسن فذلك من حقهم علينا .

ثم لا نزال نرعاهم فمِن حين السبع أمرٌ بالصلاة قالوا والمعنى أنه قد سبق لنا تعليمهم الصلاة من قبل السبع, حتى نأمرهم بشيء قد عرفوه, ثم ضربهم على تركها لعشر, فأي بيت يترك فيه الصلاة ابن عشر سنين فأكثر فلا يُضرب إلا أثمَ الوالد وأثمَت الوالدة والمسئولون في البيت لعظَمةِ هذه الصلاة التي هي عمادٌ في دين الله جل جلاله, من قطعَ حبلَها انقطع عن رحمة الله يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة**))[1]

ثم نختار له كذلك التعليم الحسَن والشيخ الصالح, ونختار له رفقاءَ الخير ونحذِّره وننأى به عن رفقاءِ الشر ورفقاء السوء ، ونلاحظ أقوالَه وأفعاله فنرشده ونوجِّهُه بما استطعنا عسى أن يكونَ قرة عين ، وعسى أن يكون فردًا في المجتمع نافعًا وصالحًا يجري الخير على يديه فيكون ذلك الولد سببًا للقرب والمزيد .. قرَّبنا

---

1 (?) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها- باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة الحديث: (1079) والنسائي في كتاب الصلاة- باب الحكم على تارك الصلاة الحديث: (458), ورواه الترمذي في كتاب الإيمان-باب: ما جاء في ترك الصلاة الحديث: (368) وقال :حديث حسن صحيح غريب .

الله إليه زلفى وباركَ في أبنائنا وبناتنا ورزَقنا حسنَ التربيةِ لهم إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ,

والحمد لله رب العالمين .

□ □ □

الدرس الحادي والعشرون

الاهتمام بأخلاق الأزواج

الحمد لله الذي خلقَنا من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، وصلى الله وسلمَ على من ختمَ به أنبياءه وجعله سيد أصفيائه ، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـد: فقد تحـدثنا في الـدرس الماضي عن تربيــةِ الأولاد, وأشــرنا إلى تربية الأزواج لما جـاء من الربط لذلك في قــول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] فيتســبَّب الوالد لأن يكــونَ الولــدُ قــرةَ عين بما ذكرنا من التربية وقواعـــدها, وتفقـــده لأحواله ، وسـؤاله إيـاه ، واختيـاره لجلسـائه ، وإبعـاده عن جلســاء الســوء ، إلى غــير ذلك .. فكيف تكــون الأزواجُ قرةَ عين .؟ فكيف يكون الأهلُ قــرةَ عين يوم القيامة .؟ كـذلك بحســنِ التربية .. بـأن يعلمَ الزوجُ الأمانةَ في هذه المــرأة الـتي عليها حقــوق ولها حقــوقٌ في شــريعة الله تبـارك وتعـالى: من معاشـــرتها بـــالمعروف, ومن الإحســـان إليها بما قدَر, ومن تربيتها, فتكون قرةَ عينٍ إذا كان يعظِّم لها أمرَ الدين . . يعظِّم لها أمــرَ الشــريعة .. ينـأى وإياها عن موجبات الغضب والمقت والسخط من الله تبارك وتعالى ، فهو يعاشرها بــالمعروف وهو

---

[1](?) سورة الفرقان آية (74) .

يعاشـرها بما أحـلَّ الحق - جل جلاله وتبـارك في علاه – له ، يبتغي بـــذلك تكثـــيرَ الأمة المحمدية ، ومباهاة النـبي بأمته في يـوم القيامة ، فلا يقـرَبُ أهلَه إلا مع تسـميةِ الله تبـارك وتعـالى, يعـتزلهم في المحيض كما أمر الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾[1] أي اغتسَـلن بعد انقطـاع حيضـهن ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ وقد لعن الله من أتى حائضًـا أو امـرأةً في دبرها كما جـاء عنه صـلى الله عليه وسـلم[2] ، ثم مع هـذه التسـمية ونيته لغضِّ البصر ولتحصينِ الفـرج , كـذلك يـربِّي في قلبِ زوجته تعظيمَ الصـلاة ، وتعظيم فـرائضِ الله ، وبرَّها بوالديها ، وإحسانها إلى والديه أيضا ، ويشـعرها بأنه مَن فضَّـل زوجتَه على أمه تعـرَّض للعنـــةِ الله والملائكة والنـــاس أجمعين ، فتكـــون معينةً له على بر والديه ، ويكون معينًا لها على بر والديها ..

ثم يحذرها أن تخرجَ من البيت إلا محتشـمة ، فلا تخرجُ إلا بزيِّ الحياء وبزيِّ الشرف , ولا تكون إمّعةً تتبع الموضات حيث ما ظهـرت مِن أي بلاد ، مِن أي فئة ، مِن أي طائفة ، مِن عند مَن فجــــر, مِن عند مَن كفــر؛ فتكــونُ مهبولــةً .. هي تمشي وراءهم ، وتتبع هـــذه الإغـــراءات .. فتخـــرجَ عن

---

[1](?) سورة البقرة آية (222) .

[2](?) رواه الترمذي في أبواب الطهارة- باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض الحديث: (135)

حيائها ، تخرج عن حشـمتها ، تخـرج عن شـريعتها .. وهو مسئولٌ عنها . وبهذا لن تكونَ قرةَ عينٍ له يوم يقوم الأشهاد ، ولن تكـون زوجـةً صـالحةً من خيرِ متاعِ الدنيا ، فخيرُ متاعِها المـرأة الصـالحة .. فعليه المسـئولية بـأن يؤكِّد عليها أنَّ شـرفَها في لباسِها ما كانَ أحشمَ ، وما كان أقربَ للحياء، وما كـان أبعـدَ لها عن السـوء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾ [1] تُعرف حشمتُهن ، ويُعرف حياؤهن .. فلا يؤذَين مِن قِبل الـــذين تمتد أعينُهم بالســـوء, ولا تمتد كلماتهم بالسوء مِن الذين في قلوبهم مرض قـال تعـالى ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[2] حـرَّم عليهن تليين أقوالهن عند مخاطبة الرجال قـال ﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ مـرض شـهوة الحـرام عند الـذي يطمع بإخضـاعِ القـول. فحـرَّم الله على المرأة أن تخضعَ بالقول أمامَ الرجـالِ الأجـانب .. علِّمها أن تخـرجَ من الـبيت إلى مقصـدٍ صـحيح .. إلى زيارةِ أقارب ، أو إلى صلة أرحام أو جـيران ، إلى بـرٍّ والـدين ، إلى علمٍ تتلقـاه في الشـريعة ، إلى منفعةٍ تنفع بها الناس . أما أن تتخـذَ الخـروجَ وِرداً لها من غيرِ حاجةٍ ، فتذهب إلى السوق مثلاً وربما ضـحكَت مع صـاحبِ الـدكان, وربما أبـدَت بعضَ محاسـنِها عنـده, فـذلك مما يُخـرجُهم عن سـواءِ السـبيل ويعرِّضـهم للفتنة ، مجـرَّد هـذا هو

---

[1] (?) سورة الأحزاب آية (59).
[2] (?) سورة الأحزاب آية (32) .

المقـدمات للشـرور الكبـيرة ، والمسـؤولية عليه صعبة ، أما ما يـؤدي إليه - لو أدى لا سـمح الله - من المفاسـد, فـذلك هو البلاء الأعظم ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

كلُّ الحوادثِ مبدأها ومعظمُ النار من

فليعلم عزَّته وعزةَ أهله ، وأدبَه وحياءَه من الله تبارك وتعالى في اتخاذ هذا السبيل القويم, فإنَّ الديوثَ لا يدخل الجنة .. بشهادة النبي ، ومَن الديوث ؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله [1] ,فاقد الغيرة على زوجتِه وعلى بناته . . لا يدخل الجنة والعياذ بالله تبارك وتعالى . فلابد أن يغارَ المسلم على أعراض أهله وأعراض أقاربه, ويُلزِمهم بالحياء .. ولا تزال كثيرٌ من بلاد المسلمين في اليمن وغيره محتفظةً بأزياء الحشمة وأزياء الأدب والحياء, فليحذروا أن يغترُّوا بما يعرض لهم, أو بما يُلقى إليهم أو يدورُ حولهم, من تردُّدِ المتبرِّجات والغافلات والمائلات والمميلات, فإنهن لُعِنَّ في حديثِ النبي . وجاء في صحيح مسلم ((**صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما بعد ، رجال بأيديهم سياطٌ كأذنابِ البقر يسوقون بها الناس,**

---

[1] (?) رواه الطبراني في الكبير عن عمار بن ياسر. والبيهقي في شعب الإيمان في باب الغيرة (الحديث: 10800) , والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث حسن .

ونساء كاسيات عاريات مائلات مُميلات رؤوسهن كأسنمةِ البُخت المائلة)) يحكي النبيُّ بعضَ الموضاتِ التي تظهر في آخرِ الزمان ممن يجعلنَ شعرَهنَّ كأنه سنام جمل **((رؤوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنةَ ولا يجدن ريحَها, وإن ريحَها ليوجد من مسيرةِ خمسمائة عام))**[1] نعوذ بالله من غضب الله تبارك وتعالى .

هيِّئ زوجتَك لأن تكونَ قرةَ عينٍ لك , ولأن تكونَ زوجتَك في الجنة .. فإن المسلمَ تكون زوجتُه في الدنيا زوجةً له في الجنةِ, يُبدلها الله تعالى حسناً وجمالاً أعظمَ مِن حُسنٍ وجمال الحور العين .. لكونها أطاعتِ الله وكُلِّفت في عالم الدنيا ، وأولئك خُلقن في الجنة .. وإن أدنى ما يُزوَّج الرجلُ في الجنة سبعين من حور الجنة[2]، واثنتان من أهل الدنيا [3]، ويفوق حسنُ وجمالُ نساءِ الدنيا حسنَ الحورِ العين لما ابتلاهُنَّ الله تعالى به من الصبر وكلّفهنَّ به من الشريعة ..

اللهم اجعل أزواجَنا لنا قرة أعين ، واهدنا لأقوم سنَن ، واجعل بيوتَنا بيوت البركة والخير والهداية والتوفيق, برحمتك يا أرحم الراحمين ..

---

[1] (?) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة- باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات الحديث: (2128).

[2] (2) رواه أحمد الترمذي في فضائل الجهاد الحديث : (1712) عن المقدام بن معد يكرب. وقال : حديث حسن غريب .

[3] (?) رواه الطبراني .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

□ □ □

الدرس الثاني والعشرون

حسن الرد في القول

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على المصطفى سيدِنا محمدٍ عبدِه ورسوله وآله وصحبه وسالكي سبيله ، وجعلنا الله منهم بفضله إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.. ولقد جاءتنا الشريعةُ المطهرةُ بحسنِ المعاملة في القول عندما نستمِع إلى خطابِ المخاطِب وكلام المتكلم لنا .. فحُسنُ الجواب وحسنُ الرد في القول خلقٌ كريم من أخلاق الإسلام العظيم ، وقد ذكَرنا قولَ الله تعالى في الدروس السابقة في وصفِ أخلاق عبادهِ الصالحين ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[1] إذا خاطَبهم الجاهلونَ الذين لا يتقيَّدون بحدودِ أدب ولا يرعَون الحرمةَ ولا الكرامة لم يقولوا هم إلا سلاما, يقولون القولَ السلام: أي القولَ الحسن والقول الطيب عندما يردُّون علهم ، فيهُدُّ ذلك أسبابَ الشحناء والبغضاء والعداوة ويمنع فَتحَ أبوابِ المشاكل ، فلا يمكن أن يُستغلَّوا لإثارةِ شغبٍ ولا لإثارةِ قلقٍ ولا فتنةٍ أبدا , إنما يُستغل غيرهم ويُغرى سواهم ، أما الذين صدقوا في إسلامهم وإيمانهم فإنهم إذا خوطبوا بالسوء ردوا بالحُسن, وإذا استُهزِئ بهم ردَّوا بوصف الاحترام بما قدروا عليه ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

---

[1](?) سورة الفرقان آية (63) .

ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ ولذلك سبَّ من سبَّ زينَ العابدين بن الحسين فأعرضَ عنه ولم يرُدَّ عليه ولم يتمعَّر وجهه . . فعجِبَ وقال: إيَّاك أعني ، فقال له: وعنك أغضي ، أنت تعنيني وأنا أغضِي عنك.. فكذلك يكون جوابهم ولما استؤجِر من استؤجر ليغضبَه أمام جمعٍ من الناس ـ لما اشتهر به من الحلم ـ فجعلوا له أجرةً مقابل أن يغضبه فدخل عليه يسبه ويشتمه وهو بين أصحابه فأرادوا أن يسكتوه و يمسكوه فأوقفَهم ونهاهم فلم يزل يسب حتى انقطعَ حديثه فسكت ولم يظهر أثرٌ على وجهِ الإمام فالتفتَ إليه بعد أن سكت ، وقال: يا هذا إن ذلك مما تعلَمه فينا وربما فينا مالا تعلَمه من المساوي فالله يغفر لنا . . ألكَ حاجة فنقضيها؟ فخجل ، قال لخادمه: ياغلام أعندك شيء ؟ قال: نعم ألف درهم ، قال إعطها الرجل ، فجاء يصبُّ الدراهم عنده فبكى؟ وقال أشهد أنك ابن بنتِ رسول الله ، والله لقد أغراني قومٌ لا خير فيهم .. قال: كفَّ عن ذلك واسكت ، وخُذ ذلك لك هدية ونفوسنا طيبة عنك , فانصرف .

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ [1] وإلى هذا يرشد الله في قوله ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2] لأن كثيرًا من المشاكل تصدر من هنا, قال ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى

[1] (?) سورة الفرقان آية (25) .
[2] (?) سورة الإسراء آية (53) .

يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ إذا ما قال التي هي أحسن تأتي الكلمة وتملأ قلبَ ذاك وتغيظ هذا وظهرت المشاكل وانفتحت عليهم آفاتٌ كبيرة ..

أثر حُسنِ القول في توجيهِ وهدايةِ المعترض:

فحقُّ المسلمِ أن يختارَ حُسن القول إذا قال .. وأن يجيبَ بالجواب المرضي عند الله تبارك وتعالى إذا خُوطب بما لا ينبغي وبما لا يليق ، ففي هذا رد وصد أبواب الفتنة أمام المفتنين ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [1] فلا يدع فرصةً لأن ينـزغَ الشيطان بأن يرد الردَّ الجميل والردَّ الحسن على كل من خاطبَه وعلى كلِّ من كلَّمه وعلى كل مَن وجَّه الكلام إليه ، فهذا خُلقٌ يجب أن نربيَ عليه أبناءنا ونربي عليه أنفسَنا حتى تنسدَّ عنا آفاتٌ كثيرة ونُحسنُ الجوابَ لمن سألنا ولمن خاطبَنا ولمن وجَّه الكلام إلينا ؛ حتى أن بعضَ الأخيار وقد كان يمضي على دابةٍ له مر ببعض المستهزئين فقال: يا شيخ خيرٌ أنت أم حمارك هذا ؟ أتنظر هذه القذاعة وهذه الفظاعة في هذا الخطاب, لكن انظر الجواب: إلتفتَ إليه وقال: يا أخي إن أنا مررتُ على الصراط وجُزت إلى الجنة فأنا خير من هذه الدابة, وإن أنا سقطت في النار فالدابة خيرٌ مني , فتأثر قلبُ ذلك المستهزئ وتحوَّل من مستهزئ إلى معظِّم لذلك الشخص وإلى مُعتبرٍ بكلامه .. قال التي هي أحسن فأثَّر في قلب الذي لا يحسِن فردَّه إلى الطريق الصحيح .. فلو أنه أجاب عليه: يا قليل الأدب ويا فَعلك ويا تركك لما أثَّر هذا الأثر الطيب

---

[1] (?) سورة الإسراء آية (17) .

في قلبه ولازداد الطين بلَّة, فإذا رآه مرة أخرى
أخرج كلامًا أكبرَ من ذلك ولكن لما قال القولَ
الأحسن أطفأ هذه النار وفتح له باب النور فخجِل
الرجل واستحيى على نفسه ورده إلى القول
الحسن . .ومرةً كان يصلي زينُ العابدين في
المسجد نفلاً بعد أن خرج الناس بعد العشاء
وأحد الغُرباء نسيَ صُرَّةً له فيها ألف درهم في
البيت الذي نزل فيه, فظنَّ بعد خروجه من
المسجد أنه نسيَها في المسجد فانزعجَ وأقبلَ
على المسجد فلم يجد إلا هذا الإمام يصلي ولم
يعرف من هو, فوقعَ في باله أنه لم يسرقها إلا
هذا وأنه يستتِر بالصلاة حتى يخرجَ الناس
فيُخرِجها ولا يراه أحد, فرآه يطيل السجود, وقد
كان في خديه خطان أسودان من مجرى الدمع ،
فقال: لا تُطِل صلاتَك يا هذا وأدِّ حقَّ الناس وأدِّ
أمانتهم .. لا تكذب ، فلما أحسَّ به خفَّف الصلاةَ
وسلم قال: ما عندك ؟ ألف درهم وسط الصرة
في هذا المسجد ما أخذها غيرُك, فلما سمع منه
هذا الكلام كان الجواب: يا أخي استرني فإن من
ستر مسلمًا سترَه الله سأعطيكَ حقَّك إتبعني ,
فقام به إلى بيته فصَرَّ ألف درهم وناوله إياها ..
هذه ألف قال نعم , قال خذها فمضى بها فدخل
البيت الذي نزل فيه , وإذا بالصرةِ وسط البيت
فأدرك أنه إنما أخطأ , قال مَن هذا الذي ابتدأته
بالفحشاء من القول واتهمته بالسرقة ثم بدل أن
يغضب ويخاصمني ويضاربني طلبَ مني الستر
عليه وقام يعطيني من ماله ويكرمني, تعجب من

هذا الخلق .. فخرج يسأل بيت من هذا؟ قيل: بيت علي ابن الحسين, قال: أزين العابدين؟ قالوا نعم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لم أجد أحدًا أتَّهمه بالسرقة إلا هذا الإمام العارف العامل العالم .. بكى ودقَّ البابَ فخرج إليه قال له: سامحني فما عرفتك وقد وجدت صرَّتي في البيت فما أنت بسارق أنت الكريم ابن الكريم .. قال خذها بارك الله لك فيها ، قال سامحني , قال ما انصرفتَ من عندي أول مرة إلا وقد سامحتُك وعفوتُ عنك من قبلِ أن تأتي إلي .. فرضيَ الله عنه ما أحسنَ أقوالَهم وما أجمل حِلمهم .. فليتعلم المؤمن أن يقولَ التي هي أحسن فذلك بابٌ لاستقرارِ حياتِه في الدنيا وكثيرِ عظيم أجره في الآخرة .

وفقنا الله وثبتنا .. وسدد أقوالنا .. وأصلح أفعالنا ..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ,

والحمد لله رب العالمين .

□ □ □

الدرس الثالث والعشرون

غـــض البصـــــــــــــر

الحمد للهِ ولي التوفيقِ والهداية ، وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى محمدٍ وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه وسار بسيره إلى يوم الدين .

أما بعد: فإنَّ من أعظم الأخلاقِ التي تضمَن للمسلم خيراتٍ كثيراتٍ مباركات في دنياه وآخرته خُلقُ غَضِّ البصر .. خُلقُ غضِّ البصر عند المؤمن عما حرَّم الله النظر إليه ، وتلك معاصي العين . إن الذي يهيء عينَه للنظر إلى وجوه الأنبياء والأصفياء في يوم اللقاء وفي دار الكرامة لا يدنِّسها ولا يوسِّخها بالنظر إلى ما حرَّم الله تبارك وتعالى.. ومِن ذلك النظر إلى العورات وإلى بيوت الغير بغير إذنهم والنظر إلى المسلمين بعينِ الاستحقار, فكل ذلك من النظر الحرام ..

أثر النظر على قلب ابن آدم:

وهذا النظر المتعلق بهذه العين له عظيم الأثر على قلبِ ابن آدم .. فإنَّ السمعَ والبصرَ كبابين مفتوحين إلى القلب يصلُ إلى القلب كل ما وصل إليهما فيؤثر فيه إما خيرًا وإما شرا, فعلى المؤمن أن يحفظ نظرَه .. فإنَّ نظرًا في القرآن ، ونظرًا في وجوه المؤمنين بعَين الرحمة والشفقة ، ونظرًا إلى وجهِ الوالدين إكرامًا

واحتراماً ، ونظرًا إلى المُلك والملكوت للتفكرِ في آيات الله يؤثِّر إيمانًا في القلب .. كما أن نظرًا إلى الأجنبيات ، نظرًا إلى الوجوه التي يستحسِنها الطبع بعينِ الشهوة ، نظراً إلى المسلمين بعين الاستحقار, نظرًا إلى العورات ، نظراً إلى بيوتِ الغير بغير إذنهم ، نظراً إلى زخارفِ الدنيا بعينِ الإعظام والاستحسان لها .. يُحدثُ ذلك آثارًا في القلب عظيمة ، ربما كانت الواحدة من هذه النظرات سببًا لانقطاع الإنسان عن ربه طول حياته ، أو سببًا لوقوعه في مهلكة ، لذلك جاءت التأديبات القرآنية الربانية قال الله لنبيه ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[1] وأمرَه أن يؤدِّب المؤمنين ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[2] وأولُ الغض عن النظرِ إلى الأجنبيات والعورات والمحرمات المثيرات للشهوات ، فذلك أمرٌ جاءت به الشريعة مع أنه أولُ مرحلةٍ من النـزوع إلى الفعل .. فالنـزوع إلى الفعل يأتي بعد مرحلتين:

1- المرحلة الأولى: مرحلة الإدراك .

2- المرحلة الثانية: مرحلة الوجدان .

3- المرحلة الثالثة: مرحلة النـزوع إلى الفعل .

فأما **مرحلة الإدراك:** بأن يدرك الإنسان أمرَه .

---

[1] (?) سورة طه آية (131) .
[2] (?) سورة النور آية (30) .

وأما مرحلة الوجدان: بأن تستقر في قلبه الرغبةُ في فعل ذلك الأمر والنـزوع إليه.

وأما مرحلة النـزوع: فهي التصرف فعلاً في ذلك الأمر, والشريعة جاءت بأحكامها تتعرض للمرحلة الثالثة غالبًا, لكن هذه المسألة دخلت فيها من المرحلة الأولى - مرحلة الإدراك- لصعوبةِ فصلِ بعضها عن بعض ..مرحلة الشهوات للفواحش تدخَّل الشرع فيها من أول نقطة وهي الإدراك .. قال يغضوا من أبصارهم.. ففرضَ علينا أن نغضَّ البصر عن النظر, كما نغضُّ القلبَ ونمنعه عن الفكر في الحرام أيضا, فذلك ما سماه النبي زنا العين وزنا القلب كما ورد في الحديث ((**العين تزني والقلب يزني , فزنا العين النظر وزنا القلب التمني**))[1]وقال ((**إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق**))[2], أي أن الكلام بالفواحش هو زنا اللسان فيجب حفظُها منه, ثم بعد ذلك يأتي زنا الفاحشة الكبرى . .

فلا بد من المراحل الأولى من قطع هـــــــذه المادة وحسـمها ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[3] **مع**

---

[1](?) رواه أحمد أبي هريرة

[2](?) رواه البخاري في كتاب الاستئذان-باب: زنا الجوارح دون الفرج الحديث: (5889), ومسلم في كتاب القدر – باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره الحديث:(2675)

[3](?) سورة النور آية (30) .

أنه مثلاً في أموال الناس يحرمُ علينا أخذُها بغير حق ، لكن لا يحرم النظر إليها .. ولا يخاطَب الإنسان بأنه يرغب أن يكون له مثلُها ، أو يود أن كانت له.. لكن إذا امتدت يدُه جاءت مرحلةُ التشريع في الأكف . إلا هذه المسألة قال الله من البداية ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾ لأنه يكون مثلَه بعد ذلك كإنسانٍ له بهيمة يُمكِّنها من رؤيةِ طعامٍ لغيره تهواه ثم تقرب وتدنو منه ، ثم يريد أن يردَّها فإنه لا يمكنه ذلك إلا بغايةِ الصعوبة .. وإن ذهب يأخذ بها مِن خلفها قطعَها وأتعبَها ولم يصِل إلى غرضه .. ولهذا جاءت الشريعة بالأمر بغض البصر, وحرَّمت علينا النظر, وقال النبي صلى الله عليه وسلم ((**النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس, يقول الله من تركَها من مخافتي أبدلتُه إيماناً يجد حلاوتَه في قلبه**))[1] فالذي يغض بصرَه عن صورةٍ محرمةٍ تعرضُ له يأخذُ الأجرةَ نقدًا سريعًا .. حلاوةً يجدُها في قلبه . . حلاوة إيمان يجدها في قلبه .. فجرِّب ذلك تجد هذه الحلاوة أحسن وأغلى من شهواتِ الدنيا وما فيها ، واغنم حلاوةَ الإيمان بهذه الفتن التي إذا أنت صدَقت فيها وقُمتَ بغضِّ البصر تحوَّلت هذه الفتن إلى نِعَمٍ عليك .. فأفاضت عليكَ حلاوة الإيمان مع أنك إن التفتَّ لها واستجبتَ لها أوقعتكَ في المهلكة وقادتكَ إلى الأسواء وكانت

[1](?) رواه الحاكم وصححه من حديث حذيفة, والطبراني عن ابن مسعود.

فتنًا تفتن عليك دينك . ولقد ذكـروا رجلاً حضـرته الوفـاة .. فقـال القـائلون عنـده: **لا إله إلا الله** فـامتنعت لسـانه أن تقولهـا, فتكلمـوا بكلام آخر فتكلم .. وتكـــرر الأمر كلما عـــادوا إلى لا إله إلا الله سـكت .. وبـالكلام الآخر تبـدو منه الكلمـة.. حتى صاح بعضهم وقال له: لمــاذا تتكلم معنا وإذا قلنا لا إله إلا الله تســكت.؟ قـــال منعتـــني عنها نظرة حرام . . إستولت النظرة على قلبه فحالَت بينه وبين الشهادة عند المـوت . . بينه وبين قـول لا إله إلا الله . . نعـــوذ بالله لأنه لم يتُب منها ولم ينـزجر عنها . . فبقيت هـذه في قلبه حـتى حصل له ما حصل عند المـوت والعيـاذ بالله ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ أطهر وأطيب ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[1] إلى آخر ما ذكر الله جل جلاله وتعالت عظمته .. هيئ عينَك للنظر إلى وجه نبيك محمد يوم القيامة بغضِّها عن المحرمات ..

اللهم وفقنا وأصلحنا وأصلح أعضاءنا وقلوبنا .. وتولَّنا بما أنت أهله واجعلنا ممن سبقَت لهم منك الحسنى .. يابر يارحيم ..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ..

والحمد لله رب العالمين .

---

[1] (?) سورة النور آية (30-40) .

الدرس الرابع والعشرون

أداء الأمانة

الحمد لله .. اللهم صلِّ وسلم على من به هديتنا لأقومِ سبيل, وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الرجوع إليك يا ملكُ يا جليل .

أما بعد: فإنَّ من أعظم أخلاقِ الإسلام أداءُ الأمانة لمن ائتمَنك ، وإنَّ المؤمنَ من أمِنَه الناس على أموالهم وعلى أعراضهم ، وإن أداء الأمانة على وجهها حريٌّ بالمؤمن أن يأتمنه الله تعالى على أسرار شريعته وحلاوة القرب منه جل في علاه .. وأن يوصلَه إلى مراتب الأمن في نفسه فيؤمنه شر الماكرين والمُخادعين والخائنين .. فيُكفى شرُّهم لأنه كفى الناس شرَّ الخيانة من عنده فلم يخنهم .. كفاهم شرَّ الحيلة والمكر والخديعة فكفاه اللهُ مكرَهم وحيلَهم وخدائعَهم .. وإنما الجزاء من جنس العمل . يقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنَك ولا تخُن من خانَك**))[1] وإن خانك الخائنون فإنَّ الله سيجعل لك مخرجًا ويعوِّضك خيرا .. فلا تقابل الخيانةَ بخيانه .. فإنَّ كلَّ إناءٍ بالذي فيه ينضح ..كل إناء ينضح بما فيه, فمهما

---

[1] (?) رواه أبو داود في كتاب الإجارة- باب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده الحديث: (3531) والترمذي في كتاب البيوع الحديث: (1282) عن أبي هريرة وقال حديث حسن غريب، والدارمي في مسنده , والدار قطني , والحاكم وقال على شرط مسلم .

كان إناؤك صافيًا وما فيه خير فلا ينضح ولا يرشح منك إلا الخير لهؤلاء الناس فدَع الأسواءَ ودع الجرائمَ ودع الخيانة تأتي من غيرك .. تأتي ممن تكدَّر قلبُه وإناؤه وفاضَ بالشر فيفيض منه الشر ويرشح منه الشر .

سعة معنى الأمانة وعظيم حقها:

أحسِن أداءَ الأمانة إلى من ائتمنك .. واعلم معنى سعة الأمانة وعظيم حقها فيما قلَّ وما كثُر وما صغُر وما كبُر ((**يا معاذ إنك تُسأل عن كُحلِ عينيك وعن فتاتِ الطين بين أصبعَيك**))[1] ولقد جاء أن ممن أحيا سيدنا عيسى بن مريم من الموتى كما جعله الله آيةً من آياتِ رسالتِه ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [2] أحيا ميتًا فقام من القبر وقد كان له سبعون سنة من حين أن مات فلما انشق القبر ورجعت الروح إلى جسده وقام فقال أقامت القيامة ؟ قالوا لا لم تقم بعد ولكن هذا روح الله عيسى ابن مريم سأل الله أن يحييك .. قال يا روحَ الله لم سألت إحيائي ؟ قال متى مُت .؟ قال قبل سبعين سنة، قال فما الخبر عندك؟ قال يا نبي الله: أعمالي غالبها وعامتها صالحة وقد سامحني الله إلا خصلة واحدة ، قال ما هي ؟ قال كنت حمَّالا فحملت حطبًا لبعض الناس في يومٍ من الأيام فلما وصلتُ بالحطب إلى بيته حضرني شيء بين

---

[1] (?) أخرجه أبو نعيم في الحلية.
[2] (?) سورة آل عمران آية (49) .

أسناني فأخذت من حطبهِ مِنخاذًا جعلت أتنخَّذ به من دون إذنه .. فحاسبني الله على ذلك وقال أدِّ حقَّ الرجل .. فحُبست ، فلي سبعون سنة أعاتَب على هذا المنخاذ وأنا منتظر الرجل .. إن مات فسامحَني فيسامحني الله تعالى لأنه حقٌّ له لا يسامحني الله حتى يسامحني صاحبه . فكان ذلك عبرةً لمن سمعوا هذا الخبر فصارت الأمانة حتى في الخلال بين الأسنان, فما أعظم الأمانة في حقوق الخلق فإنَّ الخالقَ عظيمُ المسامحةِ في حقه .. ولكن حقوقَ خلقه يدين لبعضهم من بعض ويأخذ لبعضهم من بعض وهو القائل في الحديث القدسي ((**أنا الظالم إن لم أنتقم للمظلوم من الظالم, وإن لم أنتصِف للمظلوم من الظالم**)) فلهذا ينادي المنادي في القيامة ((**أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ مِن أهلِ النار عليه مظلمةٌ حتى أقتصه منه ، ولا لأحدٍ من أهلِ النار أن يدخلَ النار ولأحدٍ من أهلِ الجنة عنده مظلمةٌ حتى أقتصه منه ، حتى اللطمة**))[1] فما أعظمَ الأمانة وما أعظم أداء حقِّها, فكن أمينًا في قولك وفعلك ومعاملتك .. وأدِّ الحقوق كما يحب الله منك ويرضى الله عنك, ويرفع لك المقدار .

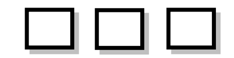
---

[1](?) رواه أحمد بإسناد حسن , والطبراني في الكبير.

اللهم أمنَّا واجعلنا من المؤتمنين واجعلنا من المؤمنين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون برحمتك يا أرحم الراحمين ..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ..

والحمد لله رب العالمين .



الدرس الخامس والعشرون

الحرص على توقير الكبير ورحمة الصغير

الحمد لله .. وصلى الله وسلم على من أرسلَه بالرحمةِ فكان الرحمةَ المهداة, وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد: فإنَّ من أخلاقِ هذا الدينِ العظيم **الحرصُ على توقيرِ الكبير ورحمةِ الصغير** فإنَّ بذلك تستقرُّ الحياةُ في مجتمعاتِ أهلِ هذه الملة, كما قد تقدَّم معنا ((**أنَّ من إجلالِ اللهِ توقيرُ ذي الشيبةِ المسلم**))كذلك نعرفُ أن للكبيرِ حقًّا على الصغير بحكمِ السن في الإسلام, وأنه دُعِي الصغارُ لتوقيرِ الكبارِ واحترامِهم كما دُعِي الكبارُ للرحمةِ بالصغارِ والشفَقةِ والحرصِ عليهم , فلأجلِ ذلك ابتنَت البيوتُ الصالحةُ المنتظمةُ في منهجِ الله تعالى بينَ المسلمين على إقامةِ هذا الخلُق بينهم في بيوتهم وفي منازلهم، فتجد الإكرامَ والاحترامَ من كل صغيرٍ لمن كان فوقَه كما تجدُ الرحمةَ والشفقةَ من الكبير للصغير, فيُعوَّد الصغارُ أن لا يتقدَّموا على من هو أسنُّ منهم في المجلس , ولا يدخلوا أو يمروا في طريقِ قبلَه ما استطاعوا, وأن يلاحظوا معاني الإكرامِ له عندَ مصافحتِه , وأن يحرصوا على ابتدائِه بالسلام, ولقد كان النبي يسابقُ إلى

البدء بالسلامِ من كان أصغر منه[1] ومن كان أكبر منه , هذا من عظَمةِ الخلُقِ كان يبدأ مَن لقيَه بالسلامِ من صغيرٍ أو كبير, مع أن الأَولى أن يبدأ بالسلامِ الصغيرُ على الكبير, والماشي على القاعد, والراكب على الماشي, والفرد على الجماعة[2], فهذا من جِهة الأولى والأفضل, وأما مسألةُ التسابقِ فهي مطروحةٌ لكلِّ من أرادَ أن يسابقَ في تلك المكارم.. وكلُّ من كانَ خلُقُه أحسن فهو في الفهم عن الله أمكن, ومكانُه أرفعُ في القربِ من ربه, وفي مجاورةِ النبي محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله .

توقيرُ الكبير ورحمةُ الصغيرِ شعارُ أهلِ الإسلام:

ولقد كان توقيرُ الكبيرِ ورحمةُ الصغير شعاراً لأهلِ الإسلام ولأهلِ الدين في أحوالهم المختلفة, وما تجد بلدةً من بلاد المسلمين دخلَها الإسلام من القرونِ إلا وعندهم عاداتٌ تَمتُّ إلى هذا الخلُق بصلةٍ وثيقة, وإن تغيَّرت في أزمنتِنا المتأخرة كثيرٌ من عاداتِ الخير واستُبدلَت بتقاليدَ ليست مُتوافقةً مع أصلِ شريعَتنا وهَديِنا ودِيننا, فذلك راجعٌ إلى إهمالنا وإلى تضيِيعنا القيم التي

1 (?) رواه البخاري في كتاب الاستئذان- باب: التسليم على الصبيان الحديث: (5893) , ومسلم في كتاب السلام- باب: استحباب السلام على الصبيان الحديث: (2168) من حديث أنس.

2 (?) رواه البخاري في كتاب الاستئذان- باب: يسلم الراكب على الماشي الحديث: (5878) ومسلم في كتاب السلام-باب: يسلم الراكب على الماشي الحديث: (2160) من حديث أبي هريرة.

بُعِثَ بها نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. وراجعٌ إلى إهمالنا لهذه الشريعة .. و إلى ما حصلَ من الانبهارِ عند كثيرٍ من العقول, والاغترار بتقاليدَ وعاداتِ بعضِ الكفار أو الفجار .. طهَّر الله قلوبَنا من تعظيمِ من لا يحب سبحانه وتعالى ولا يوالي حتى نحبَّ بِحبِّه الناس, ونعادِي بعداوتهِ من خالفَه من خلقهِ, وينتشرَ فينا هذا الخلقُ الكريمُ الذي بلغ مبلَغه عند بعضِ الصالحين حتى كان لا يرضى أن يعلوَ إلى منـزلٍ وأخوه الأكبرُ دون هذا المنـزل, وكان إذا مشى معه في الطريقِ فكأنهما الإمام والمأموم, هذه مظاهر من تأثيرِ الخلقِ الإسلامي على المسلمين عند كثيرٍ من الصالحين فينبغي أن يلتفتَ النظر إلى القيمِ التي بُعث بها خيرُ البشر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلينا فنُوجدها في واقِعنا وفي واقعِ حياتنا ونتحلَّى بها ما استطعنا فذلك مما يقوِّي لنا صلتَنا بالدين, ويقوِّي أيضًا في مجتمعاتِنا سِمةَ الإيمان وسمةَ الإسلام وطابعَ الدين الذي بُعثَ به النبي المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله .. وفي هذا يقول في الحديث عليه الصلاة والسلام ((**مَن لم يوقِّر كبيرَنا ويرحم صغيرَنا ويعرف لعالمنا حقَّه فليس منا**))[1] صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هذَّب

---

[1] (?) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة- باب ما جاء في رحمة الصبيان الحديث: (1984) عن أنس بن مالك وقال: حديث حسن صحيح .

الأمةَ وقال ليس منا مَن ضيَّع هذا الخُلق ولم يبالِ به فجديرٌ وحريٌّ أن نهتمَّ به وأن نتربى عليه .

اللهم ابسط لنا مائدةَ التخَلُّق بأحسنِ الأخلاق, وادفع عنا الآفاتِ ياخلاَّق, واسلك بنا مسالكَ من ترضى, والطف بنا فيما يجري به القضاء, واجعل سمةَ دينِك بارزةً في مجتمعاتنا وأحوالنا برحمتك يا أرحم الراحمين,

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبهِ والتابعين . .

والحمد لله رب العالمين .



الدرس السادس والعشرون

الأخوة في الله

الحمد لله الذي بعثَ نبيَّه المصطفى المنيبَ الأوَّاه, بالأخوةِ فيه تعالى في عُلاه ، وبدَّل البغضاءَ والشِّقاقَ ألفةً ورحمة ، فصلى اللهُ على المصطفى محمدٍ وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان, إلى يومِ وَضعِ المِيزان .

أما بعد: فإنَّ مِن أعظمِ أخلاقِ الإسلام **الأخوَّةُ في الله** .. الأخوة في الله تعالى والحرصُ عليها ميدانٌ واسعٌ لاستمطارِ رحمةِ الله وارتقاءِ الدَّرجاتِ العُلى .. الأخوَّة في الله تبارك وتعالى مُعجِّلةٌ لعجائبَ من النعيمِ في الدنيا قبلَ الآخرة , المتحابُّون في الله على منابرَ من نور يومَ القيامة يغبطُهم النبيُّون والشهداء ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [1] أصبحنا بِنعمةِ الله .. ومظهرِ نعمةِ الله سيدِنا محمدٍ وبعثَتِه, أصبحنا به إخوانًا بعدَ أن كنَّا أعداءَ مُتباعدِين .

الأخوة في الله قسمان:

---

[1](?) سورة آل عمران آية (103) .

الأخوةُ في الله عامة وخاصة .. أما العامَّة فهي ثابتة لكلِّ مَن آمنَ وأسلم ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ كما قال تعالى ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾[2]

أما الخاصة فهي التي تكون بعقدٍ وجَزمٍ بينَ مُتَآخَين في الله ومُتحابَّين في الله تعالى على وجهِ الخصوص ، لها حقوقٌ أعظم كما كانَ ذلك بينَ الصحابةِ المهاجرين والأنصار, حيث آخى بينهم النبيُّ المصطفى محمد صلى اللهِ عليه وعلى آله وصحبه وسلم, فآخَى بينَ كلِّ مُهاجري وأنصاري أخوَّةً خاصة مع أنَّ الجميعَ إخوةٌ, ولكن بالأخوةِ الخاصة هذه تحيا معانٍ للتَّناصر والتَّعاضُد على دينِ الله تعالى, ولصفاءِ المودَّةِ وذَوقِ سَلسَبيلهَا, وذلك أنه مما فَطرَ اللهُ عليه النفسَ الإنسانية أنَّ لها راحةً بِمودَّةٍ وأخوَّةٍ يطيبُ لها بها العيش, وتنشطُ لها بها القُوى, وتقوَى بها العزيمةُ وتنهضُ بها الهمة, وإنَّ هذا الإنسانَ سُمِّي إنساناً لأنه يأنسُ بغيره ، لكنَّ الأنسَ بالغير إن قامَ على أساس الأخوةِ في الله, والمحبةِ في الله تعالى تحوَّل إلى عبادةٍ وطاعة, يثبتُ لأصحابها الأجرُ والمكانُ الكبيرُ عند اللهِ تبارك وتعالى, وترتفعُ لهم بها الدرجاتُ فتكون الأخوةُ في اللهِ سبباً للاجتماعِ في يوم يتعادى فيه الذين تحابُّوا لغيرِ الله تعالى ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[2] فتخرج أخوَّتهم من العداوةِ إلى الشفاعةِ والقربِ

[2](?) سورة الحجرات آية (10) .
[2](?) سورة الزخرف آية (67).

والمحبةِ , وأن تُبسطَ لهم كراسي ومنابرُ من النور واللؤلؤ يجلسونَ عليها فيجتمعونَ عليها كما اجتمعوا على المحبةِ في الله في الدنيا وفي الحديث الصحيح ((**ليبعثنَّ الله أقوامًا على منابرِ اللؤلؤ على وجوهِهم النور يغبطُهم النبيون والشهداء ليسوا بأنبياءَ ولا شهداء))** فجثا أعرابيٌ على ركبتيهِ قال صِفهُم لنا يا رسولَ الله, حَلِّهم لنا نعرفهم قال ((**هم المتحابون في الله من بلادٍ شتى وقبائلَ شتى يجتمعونَ على ذكرِ الله فيذكرونه))** [1] وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ((**ما تحابَّ اثنان في الله إلا كانَ أحبُّهما إلى الله أشدهما حبًّا لصاحبه))** [2] وقال صلى الله عليه وسلم ((**مَن أحدثَ أخًا له في الله, أحدثَ اللهُ له درجةً في الجنة))** [3]

الأخوة بين المهاجرين والأنصار:

ولمَّا تآخى المهاجرونَ والأنصار رأى الأنصارُ أنَّ من حقِّ هذه الأخوةِ الخاصة أن يشاطِروهم في أموالهم وفي أنفسِهم وفيما عندهم، فكانوا في ذلك المثلَ الأعلى كما نسمعُ في قصصِ

---

[1] (?) رواه الطبراني عن أبي الدرداء بإسناد حسن.

[2] (?) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه الحديث: (566) والبيهقي في شعب الإيمان الحديث: (9049) والحاكم في المستدرك الحديث: (7323) عن أنس وقال صحيح الإسناد.

[3] (?) أخرجه ابن أبي الدنيا والديلمي, والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث ضعيف .

السيرة, وقال سيدُنا علي للنبي آخيتَ بينَ المهاجِرين والأنصارِ ولم تؤاخِ بيني وبين أحد, فقالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: ((**أنْتَ أَخِي في الدّنْيَا والآخِرَةِ**))[1] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبتَت الأُخوَّة في الله عزَّ وجل ولم يَزل يحرصُ عليها المؤمنون أي هذه الأخوة الخاصة .. جعلنا الله وإياكم من المتآخِين في الله, ومن المتحابِّين في الله, وأحيا الأخوَّةَ في بلدانِنا ومُدننا وقُرانا وأحيائنا, وجعلنا من الذين يستمعونَ القولَ فيتَّبعون أحسنَه, اللهم خلِّقنا بأخلاقِ الهدى, واجعلنا مِمن بِنبيِّك اقتدى, وأصلح لنا الشأن ظاهرًا وباطنا.

وصلى الله وسلم على المصطفى محمد الأمين وآله وصحبه والتابعين ..

والحمد لله رب العالمين .

□ □ □

---

1 (?) رواه الترمذي في أبواب المناقب الحديث: (3804) عن ابن عمر وقال : حديث حسن غريب .

الدرس السابع والعشرون

خلق الذكر

الحمدُ للهِ الذي يذكرُ مَن ذكرَه, ويشكرُ من شكرَه, وهو اللطيفُ الرؤوفُ الرحيم, أشهدُ أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له, وأشهد أنَّ سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه, سيدُ الذاكرين, وإمامُ الصابرين .. اللهم أدِم صلواتِك في كلِّ نَفَسٍ على عبدِك وحبيبك الأمين, سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ الطاهرين, وأصحابه الغرِّ الميامين, وتابعيهِم بإحسانٍ إلى يومِ الدين, وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين ..

أما بعـد: فقد سـبقَ الحـديثُ عن الأخـوَّة في الله, والمحبةِ في الله تعـالى في علاه, ولقد جـاء تعليمٌ مِن المصــطفى صــلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسـلم لمعـاذِ بن جبـل, حيث علَّمه دعـاءً يدعو به بعدَ أن ذكرَ خصلةَ المحبةِ في الله فقــال له ((**يا معـــاذ إني أحبُّك, فلا تـــدعنَّ أن تقــولَ في دُبُــرِ كـلِّ صــلاة , اللهم أعنِّي على ذكـرِك وشـكرِك وحُسـنِ عبادتِك**))[1] فلنأخذ ثلاثةَ أخلاقٍ من أخلاقِ المسـلم في حـديثِ المحبة هذا .. بعدَ أن تكلَّمنا على المحبـةِ في الله تعـــالى في علاه .. الخُلق الأول خُلق الـــذكر, والخلق الثاني خلق الشـكر, والخلق الثـالث خُلق

---

[1](?) رواه أبو داود في كتاب الصلاة- باب في الاستغفار الحديث: (502) عن معاذ بإسناد صحيح.

الإحســـان .. اللهم أعنِّي على ذكـــرِك وشُـــكرِك وحُســـنِ عبادتك .. وهي دعــوةٌ عظيمــةٌ جامعــةٌ صــدرَت من لســانِ رســولِ الله صــلى الله عليه وسلم علَّمها سيدنا معاذًا الذي أرســلَه إلى اليمن مُعلِّما وقال عنه ((**أعلمكُم بالحلالِ والحــرام معــاذ))**[1] بعد أن شـــهِدَ له بالمحبة , ويالها من شــهادة ((**يا معــاذ إني أحبُّك فلا تــدعنَّ أن تقــولَ في دُبـــرِ كــلِّ صــلاةٍ -أي بعــدَ كل صــلاة- اللهم اعنِّي على ذكــرِك وشــكرِك وحُســـنِ عبادتك**)) طلبَ المعونـــةَ على ثلاثِ خصـــالٍ لعَظَمتها ولِعُلـــوِّ قـــدرِها وشـــأنها , طلبَ الإعانـــةَ على الـــذكر, فالـــذكرُ خلـــقٌ من أخلاقِ المسلمِ يتَّصفُ به المسلمُ ويحــرصُ عليه ويكــون له مظهــرًا من مظــاهرِ حياته , يــذكرُ اللــهَ تعــالى قائمًا وقاعدًا وعلى جَنبه , يقولُ الجبار ســبحانه ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[2] الــذكرُ لله تبارك وتعالى وصفُ المصطفى كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ((**كان رســولُ الله صــلى الله عليه وســـلم يـــذكرُ اللـــهَ على كل أحيانه**))[3] وجاءنا القـــرآنُ بـــالأمرِ بالإكثـــارِ من

---

1 (?) رواه الترمذي في أبواب المناقب- باب مناقب معاذ بن جبل الحديث: (3879) وقال :حديث غريب.

2 (?) سورة آل عمران آية (190) .

3 (?) رواه البخاري في كتاب الأذان- باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا ههنا. ومسلم في كتاب الحيض- باب ذكر الله في

الذكر, ونلاحظُ لفظَ الأمرِ بالإكثارِ من الـذكر دونَ غيرِه من الأوامرِ التي جـاءت في القـرآن .. قـال سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1] إشـارةً إلى أنَّ ذكـرَه وتسـبيحَه تعـالى يُخرجُنا به من الظلمـاتِ إلى النـورِ ويجعلَنا به مذكورينَ لديهِ سبحانه وتعالى كما قـال جل جلاله ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[2] وعـدَنا أن يـذكرَنا إذا ذكرنـاه تعـالى في علاه .. وما أعظمَ أن يـذكرَك ربُّك بالرحمـةِ يا هـذا الإنسـان, ويا هـذا العبد الضعيف, إذا ذكركَ اللطيفُ بالرحمة .. وهو يـذكرُ بالرحمةِ كلَّ من ذكرَه من المؤمنين غـير مُتجـاهرٍ بِعصـيانِه ومُصـرٍّ على مخالفتِه باقتحـامِ الكبـائر, فقد أوحى الله إلى سـيدنا داود: قل للظـالمين لا يذكروني فإنهم إن ذكروني قد آليتُ أن أذكـرَ من ذكـرني فـإن ذكـروني- أي معرضـين عـني ومستهزئين بي ومصرِّين على معصـيتي- ذكـرتهم باللعنة[3] .. لكنه يذكرُ المؤمنَ المقبلَ عليه النادمَ

حال الجنابة وغيرها الحديث: (373) وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها- باب ذكر الله عز وجل في الخلاء الحديث: (302).

[1] (?) سورة الأحزاب آية (41).

[2] (?) سورة البقرة آية (151) .

[3] (?) رواه ابن عساكر عن ابن عباس والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان والسيوطي وقال: حديث ضعيف

على ما كانَ منه ولو كانَ عاصـيًا يـذكرُه بالرحمـةِ سبحانه وتعالى , ويرحمُه ويقرِّبه إليه زلفى ..

الذكر سِمةُ المؤمن:

فليكُنِ الذكرُ للهِ سمةً من سماةِ المؤمن في حياته, ومظهرًا من مظاهره .. فهو خلقٌ من أعظمِ الأخلاق يتنمَّى به الإيمانُ .. ويُذكَرُ به العبدُ والإنسانُ عندَ مولاه الرحمن جل جلاله .. وقد جاءنا في الحديثِ الصحيح عن نبينا محمدٍ صاحبِ القولِ المليح أنه قال: **قال الله تعالى ((من ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي, ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإٍ خيرٍ من ملائه))**[1] ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خيرٍ منهم وأطيب.. فهكذا وعدَ الله أن يذكرَ من ذكرَه فله الحمدُ وله المنة ..

فليكن الذكر لله دَيدنُك أيها المـؤمن وقد جاءنا في الحــديث الصــحيح أنَّ بعضَ الصــحابة ســألَ النبيَّ محمـدًا عليه الصـلاة والسـلام فقـال **((إنَّ شــرائعَ الإســلامِ قد كَثُـرَت علَي فَمُـرني بعمـلٍ أتشـبَّث به , قـال لا يـزالُ لسـانُك رطبًا مِن ذكر الله))**[2] ولقد جاء في الحـديث **((ألا أدلُّكم على أفضـلِ أعمـالكم وأزكاها**

1(?) رواه البخاري في كتاب التوحيد- باب: قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه الحديث: (6970) .

2 (?) رواه الترمذي في كتاب الدعوات- باب: ما جاء في فضل الذكر الحديث: (3435) عن عبدالله بن بسر وقال حديث حسن غريب , وابن ماجه في كتاب الأدب- فضل الذكر الحديث: (3793).

عنـدَ مليكِكم وأرفعِها في درجـاتِكم وخـيرٍ لكم من إنفاقِ الذهب والورِق, وخـــيرٍ لكمْ مِن أن تلقَوا عدوَّكم فتضربوا أعنــاقَهم و يضـربوا أعنـاقَكم .. قـالوا بلى يا رسـولَ الله قـال: ذكر الله))[1] وقـال صـلى الله عليه وسـلم ((**ما عمـلَ آدمي عملاً أنجى له من عذابِ الله من ذكـرِ الله))**(2) فـأنجى الأعمـال مِن عذابِ الله ذكرُ اللهِ تبـارك وتعـالى, لـذا قـال الله ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾**(3)** وقال تعـالى بعد أن وصـفَ عبـادَه الصـالحين والأخيـــارَ بقوله ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ حـتى قـال جل شـانه ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(4) يقـــول الله سـبحانه وتعـالى لحُجَّاج بيته ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ

---

[1] (?) رواه الترمذي في أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم الحديث: (3437) والحاكم وقال: صحيح الإسناد

[2] (?) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بإسناد حسن.

[3] (?) سورة آل عمران آية (135).

[4] (?) سورة الأحزاب آية (35) .

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾[1] ويقـــول جل شـــأنه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾[2] أي صـــلاة الجمعة ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

ولقد كـان يُعَد للنـبي صـلى الله عليه وآله وسـلم في المجلسِ الواحد مائة من الـــــذكر, مائة من طلبِ الرحمـــةِ والمغفـــرة, يُعَد له في المجلس الواحد مائة من قوله ((**رب اغفر لي وتُب علي إنك أنت الغفــور الــرحيم**))[3] يطلبُ المغفــرةَ حــبيبُ الــرحمن, ويطلبُ التوبــةَ ونحن أحــقُّ أن نطلبَها مِن الله .. نحن أحــوج لــذلك .. فينبغي أن يكــونَ لنا نصـيبٌ من ذِكــرِ الله تبـارك وتعـالى .. وفي الحـديث ((**اذكـروا الله حـتى يقولـوا مجنـون**))[4], ((**واذكـروا الله حـتى يقـول المنـافقون إنكم مُـراؤون**))[5] ولقد وردَ في الحـــديث أن ســـيدَنا ذا البِجـــادَين عليه

[1](?) سورة البقرة آية (198) .

[2](?) سورة الجمعة آية (10) .

[3](?) رواه الترمذي في أبواب الدعوات- باب ما يقول إذا قام من مجلسه الحديث: (3495) وقال: حديث حسن صحيح غريب , وأبو داود في كتاب الطهارة- باب: في الاستغفار الحديث: (1516) وابن ماجه في كتاب الأدب- باب الاستغفار الحديث: (3814) عن ابن عمر.

[4](?) رواه ابن حبان في صحيحه في باب الأذكار الحديث: (817) والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر الحديث: (1838) وصححه, وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري , والبيهقي في شعب الإيمان (526).

[5](?) أخرجه الطبراني عن ابن عباس, وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف .

رضوان الله .. ومعنى البِجادين: ثوبَين خَلِقَين لأنه قَدِمَ المدينـةَ بثـوبين خَلِقَين وذلك أن قومَه كـانوا يمنَعونه من الهجـرةِ إلى رسـولِ اللـه, إذ كـانوا مشـــــركين حـــــتى تخلَّص يومًا منهم فلقيَه في الطريق بعضُهم , فقالوا لا ندعُكَ تمضي, قال وما ينفعُكم بقائي عندَكم ؟ دعـوني أذهبُ إلى محمـدٍ ولكُم أموالي, قالوا تُعطينا أموالَك كلَّها, قال نعم, قالوا فـاذهب إذ لا حاجـةَ لنا بـك, فأعطـاهم مالَه فأخذوا كـلَّ شـيء حـتى ما بيـده فلم يُبقُـوا له إلا ثـــوبَين خَلِقَين هما البِجـــادان, وصـــلَ بهما إلى المدينة فاشتهرَ عند الصحابةِ بذي البجـادين, كـان كثيرَ الولَعِ بذكرِ الله تبارك وتعالى, حتى مرَّ النبي تحتَ المسجدِ يومًا مِن الأيام فـإذا بصـوتِ الـذكرِ وسَـطَ المسـجد, فقـالَ بعضُ الصـحابة: لعـلَّ أن يكـونَ هـذا مرائيًا يا رسـولَ اللـه, قـال لا ولكنَّه أوَّاه[1]), ثم إنه خــرجَ في غــزوةِ تبــوك مع النــبي صلى الله عليه وسـلم, وفي رجـوعِهم من غـزوة تبـوك مـاتَ ذو البِجـادَين في الطريـق, فحفـرَ له القــبرَ كبــارُ الصــحابة عليهم رضــوان الله فلمَّا وصلوا إلى أرضِ القبر .. خرجَ النبي فسوَّاه بيــده الشريفة, ثم صلى عليه وقـال نـاولوني صـاحبكم فناوَلوه إياه, فألحَـدَه في قـبره ثم قـال ((**اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارضَ عنه**))[(2)] ذلك الذي ظهَرت فيه سِمَة الـذكرِ لله تبـارك وتعـالى,

---

[1] (4) رواه أحمد عن عقبة بن عامر والطبراني وإسنادهما صحيح, و البيهقي في شعب الإيمان الحديث:(581)

[2] (?) رواه البزار .

وغلبَت عليه, ولم يزَل لسانُه رطبًا من ذكرِ الله . . فيجبُ على المــؤمنِ أن يكــونَ له نصــيبٌ من الذكرِ, وأولى الذكرِ تلاوةُ كتابِ الله, فلا ينبغي أن يُهملَه وتمرُّ عليه الأيامُ لا يتدبَّرِ شيئًا من كلامِ ربه جل جلاله ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[1] ثم ليأخذ نصيبًا من ذكرِ الصباح والمســاء مما وردَ عن النبي محمدٍ عندَ دخولِ البيت .. وعند الخروجِ من البيت .. تخرج من البيت فتقول بسم الله آمنتُ بالله تــوكلتُ على اللــه, ولا حــولَ ولا قوةَ إلا بالله, فيناديك ملَكٌ هُــديتَ وكُفيتَ ووُقيت وتنحَّى عنه الشيطان[2], بهذا الذكرِ اليسير, ومـاذا يمنعك منه عندَ دخولِ البيت؟ لأجـلِ ذلك أمرَنا أن لا ندخلَ البيتَ إلا باسم الله فتمتنع الشياطينُ من دخولِ بيوتِنا[3], ولا نتناول الطعامَ إلا باسم الله[4] .. ويأكلَ أحدُنا الأكلَ فيحمـدَ الله ويقـول ((**الحمـدُ لله الـذي أطعمَـني هـذا ورزقنيه مِن غـير حولٍ منِّي ولا قوة فيُغفَر له ما تقـدم من ذنبِه**))[5], أكلَ وذكرَ فحازَ مغفرةً من الله تبـارك وتعــالى, ما أعظمَ هــذه الشــريعة! تــأوي إلى

---

[1] (?) سورة الفرقان آية (30) .

[2] (?) أخرجه أبو داود كتاب الأدب- باب ما يقول إذا خرج من بيته الحديث: (5095) والترمذي في كتاب الدعوات- باب ما يقول إذا خرج من بيته الحديث: (1934) وقال: حديث حسن صحيح .

[3] (?) رواه مسلم في كتاب الأشربة- باب الطعام والشراب ونحوهما الحديث: (2018).

[4] (?) رواه البخاري في كتاب الأطعمة – باب: التسمية على الطعام الحديث: (5061) , ومسلم في كتاب الأشربة –باب: آداب الطعام والشراب الحديث: (2022)

فراشِك للنَّوم فتقــول ((**أستغفرُ اللــهَ العظيمَ الــذي لا إله إلا هو الحي القيــوم وأتــوب إليــه(ثلاثــا) فتُغفَر لك ذنوبُك وإن كــانت مثلَ زبدِ البحر))**[1]كما جاء في الحــديث وهكـذا تُسبِّح اللهَ ثلاثا وثلاثين دُبُر كلِّ صلاة وتحمــدُه ثلاثا وثلاثين وتكبِّره أربعًا وثلاثين أو ثلاثًا وثلاثين, وتقول تمــامَ المائة لا إله إلا الله وحــده لا شــريك له الملك وله الحمد وهو على كل شــــيء قــــدير فتُغفر لك ذنوبُك وإن كــانت مثــلَ زبــدِ البحر[2], تُسبِّح هذا التسبيح عند النـوم, إلا أنَّ التكبـيرَ أربعًا وثلاثين فيكونُ أعـونَ عليـكَ في القيـامِ بالأعمـالِ من خادمٍ يساعدك ويقومُ معك [3].

أصل الذكر:

فما أعظمَ الذكر وما أحوجَ المؤمن لأن يتَّصلَ بذكرِ الله تعالى, وأصلُ الذكرِ استحضارُ عظَمَة

---

5 (?) رواه أبو داود في كتاب اللباس- باب ما جاء في اللباس الحديث: (4023) والترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما يقول إذا فرغ من الطعام الحديث: (3523) عن أنس وقال حديث حسن .

1 (?) رواه الترمذي في أبواب الدعوات الحديث: (3457) عن أبي سعيد الخدري, وقال :حديث حسن غريب .

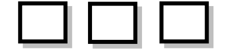
2 (?) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب استحباب الذكر عقب الصلاة الحديث:(597).

3 (?) أخرجه أحمد عن علي بن أبي طالب, ومسلم في كتاب الذكر والدعاء – باب التسبيح أول النهار وعند النوم الحديث : (2728) , وأبو داود في كتاب الخراج والفيء والإِمارة . باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى الحديث: (2988) ,

المذكورِ جل جلاله في القلب, وتعظيمُه والرغبةُ في القربِ من حضرتِه العليَّة, فأصلُ الذكرِ ما كانَ في القلب , ويبرزُ منه على اللسانِ ما يبرُز .. فأفضلُ الذكرِ ما اقترنَ بذكرِ اللسانِ مع ذكرِ القلب, وذلك يكونُ أسرعَ في تنقيةِ القلبِ والضمير, وأقربَ لمغفرَةِ الذنوبِ والأوزَار, وأحسنَ لتحصيلِ الخير .

جعلنا الله من الذاكرين المذكورين , ورزقنا سر الذكر ونوره وبركته , إنه أكرمُ الأكرمينَ وأرحمُ الراحمين,

وصلى الله على سيدِنا محمدٍ النبي الأمي وآله وصحبِه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين, والحمدُ لله ربِّ العالمين .



الدرس الثامن والعشرون

خلق الشكر

الحمدُ لله, والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا رسولِ الله, محمدِ بن عبدِ الله وآلهِ وأصحابه ومَن والاه .

وبعد: فإنَّ شكرَ الحقِّ جل جلاله فرضٌ لازمٌ على كلِّ مسلم .. والاتِّصافِ بحقيقةِ الشكرِ رتبةٌ ساميةٌ عندَ المؤمن, وخلقٌ عظيمٌ من أخلاقه .. أشارَ الله إلى قلَّةِ من يتحقَّق به مِن الخلق فقال ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1] ووعدَ تعالى المزيدَ على الشكر وقال ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[2]

حقيقة الشكر:

وإنَّ الشكرَ عبارة عن امتلاءِ القلبِ بشهودِ عظمةِ المنعم, وعظيمِ نعمتِه ومنَّتِه على عبدِه , شهودًا تنطلقُ به الجوارحُ في طاعاته, فهو أن يصرفَ العبدُ ما أنعمَ اللهُ به عليه فيما خُلِقَ من أجله , مع استشعارِ منَّةِ الله عليه وإحسانِ الله إليه, وعظمةِ ما يصلُ إليه من جودِ بارئه جل جلاله وتعالى في علاه, يستحقُّ بذلك المزيدَ فلابدَّ أن يُشعِرَ العبدُ قلبَه أنه مُنعَمٌ عليه بِنعَمٍ لا

---

[1](?) سورة سبأ آية (13).
[2](?) سورة إبراهيم آية (7).

تُعَد ولا تُحصى مِن قِبَل بارئه قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾[1] وقال﴿ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ ﴾[2] إنَّ النعمَ محيطةٌ بكلِّ إنسان, ولكن أعلى النعَم نعمةُ الإسلام والإيمان, فإذا أكرمكَ الله بها فاحمده واشكره .. وشُكره أن تُطبِّقَ شرائعَ الإسلامِ في نفسِك وحياتِك, فبذلك تعلُو منـزلتُك, ويزيدكَ اللهُ إيمانًا ويزيدُك معرفةً, ويزيدُك قربًا, ويزيدُك طمأنينةً, ويزيدك سعادةً في الدارين .

استشعار نعمةِ الله على العبد:

الشكرُ للحقِّ تبارك وتعالى سببُ المزيد لنعمائه وإفضاله وجميلِ إسدائه, ولا ينفكُّ عبدٌ من العبادِ المسلمين خاصة في كلِّ لحظةٍ من اللحظات عن ملايينَ مِن نِعَمِ المنعمِ جلَّ جلاله .. في بصَره وفي سمعِه وفي أعضائه وفي أجهزته وفي حركاتِه وفي سكناته وفي عقله وفي ظاهره وفي باطنه .. وهذه الملايين من الخلايا العاملة في جسمِ الإنسان تشتغلُ كلُّها وتؤدِّي مُهمَّاتها .. كل خليةٍ فيها كذا كذا من النِّعم, فسبحانَ المنعمُ العظيم جل جلاله وتعالى في علاه . يجب أن تستشعرَ نعمةَ الله عليك .. ولقد جعلكَ من خيرِ أمةٍ أخرجت للناس, فاشكرِ اللهَ تبارك وتعالى وانصِب قدمَيك في محرابِ الشكر للمولى جل جلاله بأداءِ حقِّ النعمة, اصرِف البصرَ فيما خُلِق لأجلِه, إصرفِ السمعَ لاستماعِ ما خُلِقَ لأجلِه, لا

---

[1](?) سورة النحل آية (18) .

[2](?) سورة لقمان آية (20) .

تستمِع إلى حديثِ قومٍ وهم لكَ كارهون لسماعِك حديثِهم, فإنَّ ذلك سببٌ لأن يُصَبَّ الآنك في الأذن, والآنك هو الرصاص المذاب بالنار, يُصبُّ في أذنِ الذي يستمعُ حديثَ قومٍ وهم له كارهون[1], لا تستمع إلا إلى حديثٍ يقربُّك إلى الله, وينفعُكَ في دينِك أو دنياك, اصرفِ اللسانَ لما خُلِقَ من أجله .. خُلقَ للذكر , خُلِقَ للتلاوة, خُلقَ للنفع, خُلِقَ للاستعانة به على مصالحِ الدين والدنيا, فلا تصرِفه إلى ما حرَّم الله تباركَ وتعالى عليك, وإن أنعمَ عليك بمالٍ فاشكر, والشكرُ أن تأخذَه مِن حلِّه, وتنفقَه في مَحلِّه, فذلك شكرُ نعمةِ المالِ عليك, وكل ما أنعمَ عليكَ بنعمةٍ فَشُكرها أن تصرفَها فيما خُلِقَت لأجله, والشكر قيدُ النِّعم فإذا ذهبَ القيدُ زالت ..

إذا كنتَ في نعمةٍ فإنَّ المعاصي تزيلُ النِّعَمْ
وحافظْ عليها بشكرِ فإنَّ الإلهَ سريعُ النِّقَمْ

فتعلَّق بالشكر, وكُن من الشاكرين . .

النبي سيد الشاكرين:

ولقد ضربَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أمثلةَ الشكر, وقالَ حينما قيلَ له في قيامِه وقد تورَّمت قدماه من القيام بالليل, أتفعلُ هذا يا رسولَ الله وقد غَفرَ الله لك ما تقدَّمَ من ذنبك

---

[1] (?) كما ورد في حديث البخاري (ومن استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون، أو يفرُّون منه، صُبَّ في أذنه الآنك يوم القيامة) في كتاب التعبير- باب من كذب في حلمه الحديث: (6635)

وما تأخَّر قال ((**أفلا أكون عبدًا شكورا**))[1] والعجَبُ أنك بِشُكرِك لله تتهيأ لأن يَشكُرَك البارئ جل في علاه . . ومَن أنت وما شُكرك عندَ شُكرِ الخالقِ المصورِ البارئ القادر جل جلاله ! قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[2]وقال تعالى ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[3]

اللهم أعنَّا على ذكرِكَ وشكرك وحُسنِ عبادتك, واجعلنا مِن الشاكرين الذاكرين, والمنيبينَ الخاضعِين الخاشعين, برحمتك يا أرحمَ الراحمين . .

وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ إمامِ الشاكرين, وآله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين . . والحمدُ لله ربِّ العالمين .

□ □ □

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب التهجد- باب قيام النبي حتى ترِمَ قدماه الحديث: (1078) ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة الحديث: (20820) والنسائي والترمذي وابن ماجه.

[2] (?) سورة الإسراء آية (19) .

[3] (?) سورة البقرة آية (158) .

الدرس التاسع والعشرون

خلق الإحسان

الحمدُ لله, وصلى الله على حبيبِه ومصطفاه, سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ ومن سارَ على سبيلهِ واهتدى بهداه, وجعلنا الله منهم بفضلِه إنه أكرم الأكرمينَ وأرحم الراحمين .

ألا وإنَّ مما دعانا إليه هـــــذا الـــــدينُ العظيم وجعلَه من خُلــقِ المســتقيمين على مَنهجِ النــبيِّ القــويم .. الإحســانُ في العبــادة, والإحســانُ في الأعمال, يقول صلى الله عليه وآله وسـلم لمعـاذ **((فلا تدعَنَّ أن تقـولَ في دبـرِ كـلِّ صـلاةٍ اللهم أعنِّي على ذكـرِك وشُـكرِك وحُسـن عبادتك))** قـال تعـالى ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[1] يقول النبي صلى الله عليه وآله وسـلم **((إنَّ اللهَ يحبُّ من أحـدِكم إذا عمـلَ عملاً أن يتقنه))**[2] ولقد فسَّر النبي الإحسـانَ عنـدما سـأله سـيدُنا جبريل وقـال **((أخـبرني عن الإحسان, فقال له الإحسانُ أن تعبدَ اللــهَ**

---

[1] (?) سورة تبارك الآيات (1-2).

[2] (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان-باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها الحديث: (5312) و أبو يعلى عن عائشة, والسيوطي في الجامع الصغير , وقال حديث ضعيف .

كأنَّك تراه, فإن لم تكن تـراه فإنَّه يـراك)) [3] أي أن تستشـــعرَ إطِّلاعَ الله عليك فتقــومُ بعبادته كأنك تراه . .

[3] (?) رواه مسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان الحديث: (8) عن عمر بن الخطاب.

الإحسان في الأعمال:

إذاً فمن واجبِ المؤمن أن يتخلَّقَ بخُلقِ الإحسانِ في كلِّ ما يقومُ به من أعمال, فيصلح بذلك عملُه ويصفو ويُقبَل عندَ الله ويتضاعفُ له الثواب , وإنَّ قليلاً من العملِ الصالح بإحسان خيرٌ من كثيرٍ بلا إحسان . . فينبغي للقارئ أن يقرأ اليسيرَ من القرآن وهو مُتدبِّر متفهِّم مُحسِن للتلاوة خيرٌ من أن يقرأ بلا تَدبُّرٍ أجزاءَ كثيرةً وأوراقًا كثيرةً من كتابِ الله تبارك وتعالى, فلذلك ينبغي الاعتناءُ بالإحسانِ من المسلم إذا قام بوضوءٍ أو بعبادةٍ أو بغير ذلك .. حتى أشارت إلى مرتبةِ الإحسانِ وذكرت واحدًا من مظاهرها مدحًا للإمام الشافعي السيدةُ نفيسة عليها رضوان الله بمصر . . حيث قالت وقد صلَّت عليه عند موته: رحمَ الله الإمامَ محمدَ بن إدريس الشافعي إنه كانَ يُحسِن الوضوء, فانظر إلى فقهِ تلك المرأةِ العارفة, وما وصفَت ذاك الإمام إلا بإحسانِ الوضوءِ, فجعلت ذلك علامةً على تبوُّئه مرتبة الإحسان, فإنَّ مَن أحسنَ الوضوءَ أحسنَ الصلاة, ومن أحسنَ الوضوءَ والصلاةَ أحسنَ الدينَ كلَّه, وأحسنَ العملَ كلَّه في حياته, فوصفَته بهذا الوصف ولفتت النظرَ إلى أنَّ غيابَ الاهتمامِ بالإحسان في بعضِ الأعمالِ من شأنه أن يجعلَ الإنسانَ في غَيبةٍ عن حقائقِ الإحسانِ في أعمالِه كلِّها . . فالذي لا يُبالي بالإحسانِ في الوضوء لا يُبالي بعدَ ذلك بالإحسان في الصلاة , ثم لا يبالي

بالإحسانِ في زكاةٍ ولا صومٍ ولا حجٍّ ولا صدقةٍ ولا غير ذلك .

ثمرة الإحسان:

فالإحسان مطلوبٌ من المؤمنِ وهو يرفعه درجاتٍ لدى ربِّه تبارك وتعالى ثم يكونُ له جزاءٌ مِنَ اللّه أن يُحسِنَ الله إليه , قال الله تبارك وتعالى ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[1]فينبغي أن يُحسِن المؤمنُ في أحواله وشئونِه كلِّها ويخصَّ عبادةَ ربه باعتناءٍ بإحسانها وأدائِها على وجهها استشعارًا أنَّ الذي يعبدُه يراه وينظر إليه فكأنه هو يراه, فكيف يكون حاله..! إنك ترى كثيرًا ممن إذا شَعر بمراقبةِ إنسانٍ له في عملٍ أحسنَه وأتقنَه ، وإذا كان خاليًا بَعُد عن الإتقانِ . . ألا يكفيه نظَرُ الرحمنِ إليه . .؟ فينبغي أن يُطهِّرَ قلبَه مِن مَرضِ مراقبةِ الخلق مع نسيانِ الخالق جل جلاله ، ويرتقي رتبةً في الإيمان تجعلُ مراقبتَه للخالقِ أعلى وأجل وأعظم مِن مراقبةِ الخلق والإلتفات إليهم . ولقد سمعَ بعضُ المصلين وكان يصلي إذ أحسَّ بداخلٍ دخلَ فزادَ في إحسانِ الصلاةِ فسمعَ هاتفاً من فوقه يقول له: لولا أنَّ أولَ صلاتِك لله لأُخرِجتَ من ديوانِ السعداءِ إلى الأشقياء , فلأجل ذلك أُمِرنا بالإحسان ومراقبةِ الجبَّار, وجاء التهديدُ للمصلِّينَ الذين لا يُحسنونَ الصلاة قال تعالى ﴿ فَوَيۡلٞ

[1] (?) سورة الرحمن آية (60) .

لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾

(1)

(?)[1] سورة الماعون الآيات (5-7) .

فهم ضيَّعوا الإحسان بوصفين:

1. وصف السهو عن الصلاةِ ومعناه تأخيرُها عن وقتها .
2. والوصف الثاني مراءاتُ الخلق بها قال ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ فبسببِ ريائِهم وسهوِهم تحوَّلوا إلى أن يستحِقُّوا الويلَ والعياذ بالله تبارك وتعالى والتهديدِ من الله .

فنسألُ الله أن يرزقَنا الإحسانَ في أعمالنا كلِّها ويُثبِتنا في المحسنين ، اللهم ارفعنا في مراتب الإحسان وقابِلنا منك بالإحسان , واغفر لنا الإساءة وأحسِن إلينا يا مُحسن, وكن لنا بما أنتَ أهلُه في كلِّ شأن يا ربَّ العالمين .

وصلى الله على النبي المصطفى محمد وآله وصحبه والتابعين ..

والحمد لله رب العالمين .

□ □ □

الدرس الثلاثون

صبغة الأخلاق

الحمد لله الملكِ الخلاَّق, وصلى الله وسلم على نبيِّه المصطفى عظيمِ الأخلاق, وعلى آله وأصحابه ومن تبعَ سبيلَه واهتدى بهديه إلى يومِ الوقوفِ بين يديكَ يا ربَّ العالمين .

أما بعد: فإنَّ موضـوعَ الخُلق عنـدَ المسـلم له مكانـةٌ عَلِمناها مِن تلخيصِ البعثة لهـذا المقصـودِ في قَولِ النـبيِّ المصـطفى ((**إنّما بعثتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق**))[1] وإنَّ أهلَ الاسـتقبالِ لهـذه الرســالةِ المحمدية النبوية الـــتي ختمَ الله بها الرسالات, وأرسلَ بها حبيبَه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . المستقبلونَ لهـذه الرســالة لابــدَّ أن يصــطبِغوا بِصــبغةِ أخلاقِها . . بصبغةِ ما دعَت إليـه, بصـبغةِ المقصـدِ الـذي بُعثَ من أجلِه رســولُ الله صــلى الله عليه وعلى آله وصــحبه وســلم, ولأجل هــذا رأينا العجــائبَ مِن تحـوُّلِ أحـوالِ النـاس من شـركٍ وكُفـرٍ وجاهليـةٍ وعَنجَهيَّةٍ واعتداءاتٍ وكِبرٍ وغَطرسَـةٍ وظُلمٍ وقَتـلٍ للنفـــوس, إلى كَـــرَمٍ وشِـــيَمٍ وفضـــائلَ وآدابٍ وإحسانٍ وتواضعٍ ورحمةٍ ورأفة , فكانَ الحال كما وصفَ الله تبارك وتعالى ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ

---

[1] (?) رواه مالك وأحمد والبخاري في الأدب المفرد الحديث: (273) والبيهقي في شعب الإيمان, والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة.

﴿أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[1] قـال عن بعثـةِ نبيه ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[2] ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[3] وبعـــــدَ الضـلالِ المـبين ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[4] جـاءوا بالخيرية فعلَّموا الأمم وهدَوا وأرشدُوا وكان منهم الأبطــال , وســاداتُ الرجــال , أربــابُ العلــومِ والمعارفِ والأعمـال , والصُّـلحِ والجهـادِ والتقـوى . . فانتشــرت بينهم معــاني الإصــلاح , ومعــاني الصَّـلاح ومظـاهر الفلاح , فتحوَّلـوا مِن حـالٍ إلى حالٍ ما أعظمه وما أجله وأكرمه, فكانوا بعدَ ذلك قـادةَ الأمة وسـادتِها وأئمتِها والمعلمـون للنـاس الخير .

نصيبك أيها المؤمن من الخلق الكريم :

فكذلك ينبغي لكَ وقد آمنتَ أنتَ بالله ورسولِه أن يكونَ لك نصيبٌ من معاني هذا الاستقبالِ لعظمةِ هذه الرسالةِ العظيمةِ عن الله تباركَ وتعالى, وتبحثَ عن إيمانك في عملِك وفي فعلِك وفي قولك, وتجد الحقَّ تعالى في القرآن يذكرُ الإيمانَ مُقترنًا بالعمل الصالح في كذا كذا آيةٍ من كتابه, ويذكر عليها بشائرَ منه سبحانه وتعالى, ويَعِد عليها فضلاً وكرمًا فيمن آمنوا وعملوا

---

[1] (?) سورة آل عمران آية (103) .
[2] (?) سورة آل عمران آية (164) .
[3] (?) سورة آل عمران آية (164) .
[4] (?) سورة آل عمران آية (110) .

الصالحات فجاءتهم البشائر في الآيات البينات, ربط الإيمانَ بالعمل .. فبيِّن أنت جانبَ الخلق فيك وترجِم وبرهِن عن معاني استقبالِك للرسالةِ النبوية وأخذِك لها, فإنما تُميَّز يا أيها المؤمن بخلقِك الكريم, وقد كان الذين يعتنونَ برتبةِ الإحسان في دينِ الله تبارك وتعالى ويسمَّون على ألسُن كثيرٍ من الناس في القرونِ الماضية بالصوفية, يقولُ قائلُهم: إنما مَسلكُنا وتصوُّفنا خُلُق فمن زادَ عليك في الخُلُق فقد زادَ عليكَ في المَسلك, وزاد عليك في الدرجة . ولا يرجع الأمرُ إلا إلى الخلُق الكريم الذي بُعثَ به النبي العظيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

فتأمل أخلاقَك في المعاملة, وانصَب لكي تكسبَ الخلُقَ المحمود وتنجوَ وتتخلصَ مما يعلق بك من الأسواء والأخلاقِ المذمومةِ المبغوضةِ لربِّك تبارك وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم . . واطلب الرضوانَ بهذا الخُلق ((**فإنَّ الرجلَ ليبلغ بحُسنِ خلقِه درجةَ الصائمِ القائم))**[1], يبلغ درجةَ الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا ينام بِحُسنِ خلُقه, **((ما منْ شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخُلق))**[2], ولقد رووا عن الحسن عن الحسن

---

1 (?) رواه أبو داود في كتاب الأدب- باب في حسن الخلق الحديث: (4790), وأحمد والطبراني عن عائشة, وإسناده حسن .

2 (?) رواه أبو داود في كتاب الأدب- باب حسن الخلق الحديث: (4791) والترمذي في أبواب البر والصلة- باب

عن الحسن عن أبي الحسن عن جدِّ الحسن ((**أن أحسنَ الحسن الخلق الحسن**))[1] فهو زينةٌ يزيِّن الله بها من يشاء من عبادِه , يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((**ما حسَّن الله خَلقَ امرىء وخُلُقه فيُطعِمُه النارَ أبدا**))[2] إذا حسَّن خلقَه وخُلقَه فلن يُطعمَه النارَ بعد ذلك ولن تمسَّه .

فينبغي أن نعتنيَ بحسنِ الخلق ونتأملَ ما يُتلى علينا أمثال ما مضى في هذه السلسلة التي نرجوا الله أن ينفعَ بها المتكلمَ والسامع . . ويوقعَ نورَ هذه الأخلاقِ في قلبِ كلِّ قارئٍ لها, ويفتحَ له بابًا من التوفيق , حتى يتَّصفَ بتلك الأوصاف, ويعتليَ في ذلك المنار, الذي بُعِث به المختار .. اللهم حققنا بذلك بمحضِ فضلِك وجودِك وكرمك .. يا أكرمَ الأكرمين .. ويا أرحم الراحمين .

الجزاء من جنس العمل:

اجتهد في تحسينِ أخلاقِك بما استطعتَ وحسِّن معاملتَك للناس , عامل الخلقَ بالرحمةِ يرحمك, عامِلهم بالشفقةِ يشفق بك, عامِلهم بالرأفةِ يرأف بك سبحانه وتعالى, فإن الجزاءَ من جنسِ العمل, ولقد حدَّثنا النبي صلى الله عليه

ما جاء في حسن الخلق الحديث: (2070), والسيوطي وقال: حديث حسن .

[1] (?) رواه الطبراني وابن عساكر, والحسن الأول هو ابن حسان السمتي والثاني ابن دينار والثالث البصري.

[2] (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان, والطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن سعد البكري وهو ضعيف .

وسلم في حديثه الصحيح عن رجلٍ من بني إسرائيل كان صاحبَ تجارةٍ وأموالٍ ولكنَّه كان يقول لوكلائه: أنظِروا المُوسر - يعني الموسر الذي عنده القدرةُ على القضاء وعنده دَينٌ لنا أنظرُوه لا تستعجلوا عليه ولا ترهِقوه حتى يُسلِّم- , وتجاوَزوا عن المعسر لعلَّ اللهَ أن يتجاوزَ عنا, قال صلى الله عليه وآله وسلم فلما ماتَ أوقفَه الله بين يديهِ فقالَ له: ما كنتَ تفعل ؟ قال يا رب كنتُ آمر وكلائي وأقولُ لهم: أنظِروا الموسر وتجاوزُوا عن المعسِر لعلَّ الله يتجاوز عنا, فقالَ الله: نحن أولى بالكرمِ منكَ قد تجاوَزنا عنك[1] .. فكان التجَاوزُ منَ الله جزاءَ ما كان يتجاوزُ عن خلق الله . . وقد جاءنا في الآثار أن امرأةً من بني إسرائيل كانت قد عَرضَ لها سائلٌ يسأل فلما عرضَ لها السائل يسأل , بقيَت معها لُقمةٌ واحدة ورفعَتها تريدُ أن تضعَها في فمِها فردَّتها وأعطَتها ذلك السائل, فأخذَها السائل وهو جائع , فلم تشعر بعد أيام إلا بذئبٍ يأتي ومعها طفلٌ صغيرٌ فيأخذُ الطفلَ ويمشي, فجرَت وراءَ الذئب تقول ابني .. ابني , وإذا بصورةِ رجلٍ يقفُ فيمسكُ الذئبَ ويُخرِجُ الولدَ سالمًا معافى من فمِ الذئبِ ويناولُه إياها ويقول لها: يا هذه إنما أنا مَلَكٌ أرسلَني الله تعالى من السماء لأنقذَ ابنكِ هذا, وأسلِّمَه لك, ويقول لك لُقمةٌ بِلُقمة[2] ..

---

[1] (?) رواه الترمذي في أبواب البيوع-باب مَا جَاءَ في إنظارِ المعسرِ والرِّفقِ بهِ الحديث: (1322) وقال حديث صحيح.

[2] (?) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عباس.

أنفقتِ من أجلِ الله لقمةً فردَدنا لك هذه اللقمة مقابلَ تلك اللقمة .. فالجزاء من جنسِ العمل .

فتخلَّق بالأخلاقِ الكريمة واقرأ كثيراً في شمائلِ نبيك وسيرتِه فذلك يُقوِّي إيمانَك ويقينَك ويفتحُ لك بابَ الإقتداء والاهتداء, اللهم انفعنا بما سمعنا, وعلِّمنا ما ينفعُنا وبارِك لنا في هذه السلسلةِ المباركة ويسِّر لنا اللقاءاتِ مع إخواننا من أهلِ الإسلامِ والإيمان على مثلِ هذا البساط مراتٍ كثيراتٍ في خيراتٍ وأنت راضٍ عنا ومادٌّ لنا بالتوفيقِ والعنايةِ منك يا وليَّ التوفيقً .. يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .. كن لنا بما أنتَ أهلُه, واصرف عنا الشرَّ كلَّه, واحمِنا بحمايتك واحرُسنا بحراستك وأصلح شئونَنا وشئونَ بلداننا وبلادِ المسلمين, واجعلنا منَ الهداةِ المهتدين, واختم لنا أعمارَنا بالحسنى وأنتَ راضٍ عنا يارب, وثبِّتنا على ما تحبُّ وترضى منا, وعاملْنا بالفضلِ وما أنت له أهل برحمتِك يا أرحمَ الراحمين . . وأدِم صلواتِك على عبدِك المصطفى محمدٍ وعلى آله وأصحابِه وأنبيائِك ورُسلِك وملائكتِك المقرَّبين وعبادِك الصالحين أجمعين, وصلِّ معنا عليهم وفيهم برحمتِك يا أرحمَ الراحمين..
والحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

انتهت المجموعة الأولى من سلسلة

إسعاف طالبي رضا الخلاق
ببيان مكارم الأخلاق
تابعوا المجموعة الثانية لاحقاً إن شاء الله تعالى